

الفلسفة الإسلامية

الشيخ محمد رضا المظفر

18107

الفلسفة الإسلامية

الفلسفة الإسلامية

كراسات وزّعها المؤلف على تلاميذه أثناء
تدريسه الفلسفة الإسلامية في السنوات الثلاث
الأولى لتأسيس كلية الفقه في النجف الأشرف

اعداد

السيد محمد تقي الطباطبائي التبريزي

International Organization of the Ale
and Library (GOAL)
Publishing & Distribution



الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية	
رقم النص	181-21
رقم التسجيل	34

دار الصفاء
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بيروت - بئر العبد - الصنوبرة - مقابل سنتر دائر - بناية دياب مهدي



ت: ٨٢٣٥١٨، ٨٢٢١٦٧ - تلفون دولي: ٠٠٣٥٧٩٥١٤٣٦٤
فاكس: ٠٠٣٥٧٤٦٢٥٨٤٨ ص. ب ٢٣/٢٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناشر

ما كنت أراني جديراً بتعريف آية الله الاستاد الشيخ المظفر (رحمة الله عليه) لأنه في غنى عن التعريف، وقد اضطلع أهل الفضل بجهوده المضنية، ومساغيه المنيرة في سبيل ما يطمح إليه من تطوير الدراسة في الحوزات العلمية منذ نصف قرن .

وقد أسدئ يداً طولئ الى مراكز العلم في شتى المواضيع العلمية الهامة من أصول الفقه والمنطق وتبيين العقائد الامامية، والذب عن نواميس الولاية .

ومن تلكم الجهود الجبارة لشخصيته الفذة، تأسيسه «كلية الفقه» في النجف الأشرف عام (١٩٥٨ م) وهو يقصد بذلك تطوير الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وتخرج ثلثة من طلبة العلوم الإسلامية يضمون إلى جانب دراساتهم المروجة، دروساً في علم النفس والإجتماع واللغة الإنجليزية والتفسير والفقه المقارن وأمثالها مما يحتاجه العلماء والمبلغون في العصر الراهن .

(ومنها) كتبه القيّمة وتاليقاته التي استفاد منها جمٌ غفير من رواد العلم منذ عصر طويل كأصول الفقه والمنطق وعقائد الامامية .

(ومنها) دروسه في الفلسفة الاسلامية التي خلّت بحد الامكان عن التعقيدات اللفظية، والمبهمات المعنوية التي توجد غالباً في تأليف من كتب قبله في هذا الموضوع .

وانه (رحمه الله) ألقى هذه الدروس بنفسه على تلاميذه في جامعته التي أسسها في النجف الأشرف، أعني «كلية الفقه» ما بين عام ١٩٥٨ و ١٩٦٢ م ثم نشرها في كراسات وأوراق طبعت على جهاز رونيو (استنسل) وحفظها بعض تلاميذه حينما أضعها آخرون، ومضت على ما حفظ منها كزّ الغداة ومرّ العشي حتى آلت الى الاصفرار والاندراس وكادت أن تنمحي فلا يبقى لها أثر ولا عين .

وما كنت أعرف سبيل الحصول على هذه الدروس حتى بلغنى أنها موجودة
عند العلامة المجاهد الحجة السيد محمد تقى الطباطبائي التبريزي (زاد مجده)،
وبعد مذاكرة بسيطة سمح لنا سماحته وسلمنا هذه الدروس بعد تنقيحها وتهذيبها
من المكرات فنشكره على هذه المنحة الجليلة .
وها أنا أقدمها الى القراء الأعزاء بطبع جميل شاكراً للربّ الجليل الذي لا زالت
ألطافه علينا متواصلة، وتوفيقاته لنا متكاثرة، ونبتهل اليه أن يديمها لنا في المستقبل
أيضاً انه قريب مجيب .

السنة الاولى

﴿ مباحث الوجود ﴾

- تمهيد
- تعريف الوجود
- اشتراك الوجود
- زيادة الوجود على الماهية
- اصالة الوجود
- العدم مفهوم واحد والمعدوم ليس بشيء
- اعادة المعدوم

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

السنة الأولى :

مباحث الوجود

الدرس الأول

تمهید

ان لكلمة الوجود اطلاقين واستعمالين :

١- ان يطلق ويراد به الوجود بالحمل الأولي وهو المفهوم .

٢- ان يطلق ويراد به الوجود بالحمل الشايع وهو حقيقته ومصداقه وهو الظاهر

بنفسه المظهر لغيره .

والاول معنى انتزاعي اعتباري وهو مفهوم كلي ، ولكنه بالنسبة الى مصاديقه عرض عام ، فيصدق عليها صدقا عرضيا كمفهوم الشيء الذي هو عرض عام بالنسبة الى جميع الاشياء ، وليس هذا المفهوم من حقيقة الوجود ، أي انه ليس وجودا بل مفهوم له الوجود ، وذلك عند تصوّره في الذهن ، فلا يكون الا عنوانا للوجود الحقيقي ومرآة له ، وشأنه في ذلك شأن مفهوم العدم بالنسبة الى ما هو بالحمل الشايع عدم ،

فان مفهوم العدم ليس بعدم ، وكذا مفهوم الحرف ليس بحرف ، ومفهوم الجزئي ليس بجزئي ، ومفهوم الممتنع ليس بممتنع .

فجميع هذا العناوين ليست النسبة بينها وبين معنوياتها و مصاديقها نسبة الكلّي الى افراده ، بل نسبة العنوان الى معنونه ، يعنى ان العنوان ليس من حقيقة المعنون ، بل يصح سلب العنوان عنه . وفرق كبير بين الكلّي وافراده ، وبين العنوان ومعنونه ، فان الكلّي بالنسبة الى افراده لا يصح فيه سلب حقيقته عنه ، فان مفهوم الانسان يصدق عليه انه حيوان ناطق كما يصدق على زيد مثلاً انه حيوان ناطق ، ولكن لا يصدق على مفهوم الحرف أنه لا يخبر عنه ، كيف وقد أخبر عنه بانه لا يخبر عنه . وبعبارة اوضح ان بعض الامور لها صورة في العقل حاكية عنها تكون الصورة نفس طبيعة ذي الصورة من جهة صدق تعريف واحد عليها ، والصورة هي المفهوم ، وذو الصورة هو المصداق ، فاذا علمت بالصورة فقد حصل لك العلم بكنه تلك الطبيعة لذي الصورة ، وبعض الامور ليس لها صورة في العقل كالعدم والوجود والحرف والجزئي والممتنع ونحوها ، بل العقل لأجل التوصل الى التعبير عنها والتعرف على أحكامها يجعل ويخلق بحسب ماله من قوة متصرفة بعض المفهومات التي يخترعها من نفسه لتكون صورة وعنوانا لتلك الامور للحكاية عنها بعدان كان لا يمكنه ان يحصل صورة في الذهن لطبيعتها . وعدم امكان تحصيلها إما لفرط تحصيلها كالوجود ، وإما لفرط بطلانها كالعدم والممتنع والمعنى الحرفي ، فيلتجىء الى اختراع صورة وعنوان يكون كالمرآة في حكايتها عن ذي الصورة مع ان المرآة ليس من طبيعة ذي الصورة في شيء ، ولعدم وضوح الفرق بين المفهوم والمصداق في الوجود للاختلاط الذهني بينهما لم يحصل لكثير من الناس التفرقة بين احكام مفهوم الوجود واحكام حقيقة الوجود فرقت جملة من الشكوك في مباحث الوجود . وسرّ الاختلاط في الذهن أن مفهوم الوجود حين الحكم على حقيقة الوجود بحكم ، يؤخذ وجهاً وعنوانا حاكيا عن الوجود الحقيقي وآلة للحاظة ، فهو - أي مفهوم الوجود - عند

﴿ السنة الأولى ﴾ مباحث الوجود ١٣

الحكاية ليس بشيء ولا ملحوظا بالذات ، بل هو صرف مرآة لملاحظة حقيقة الوجود . ولاجل هذا كان ذلك مصححاً للحكم على الوجود الحقيقي ، فيختلط على الذهن بين المرآة وذو الصورة المحكية بها ، فيتخيل ان الحكم الذي أعطي للمحكّي قد كان للحاكي وكذا العكس ، وعلى الطالب أن يتدبّر جيداً الفرق بينهما لينكشف له كثير من الابحاث التي وقع فيها النزاع ، ولعله يستطيع ان يوقع التصالح بين المتنازعين برفع المغالطة الذهنية .

الدرس الثاني

تعريف الوجود

إن الوجود بأي اعتبار أخذ لا يصحّ تعريفه ، بل يمتنع سواء أريد منه مفهومه أو حقيقته .

١ - مفهوم الوجود فانه من أعرف الاشياء ، بل كل الاشياء إنما تعرف به ، لأنه معنى مرتكز في الذهن و مرتسم فيه ارتساماً أولياً فطرياً ، فاذا قصد اظهار هذا المعنى بالكلام فيكون ذلك تنبيهاً للذهن واطحاراً بالبال وتعييناً له بالاشارة من بين سائر المرتكزات في العقل ، لا افادته بأشياء هو أشهر منها وأعرف ، فيكون تعريف الوجود على هذا ليس الا تعريفاً لفظياً .

٢ - حقيقة الوجود ، فانه لا يمكن تعريفه لانه يستحيل اخذ صورة ذهنية عنه تكون كنهه ، لأن كل ما كانت حقيقته انه في الاعيان يمتنع ان يكون في الاذهان ، والالزم انقلاب الحقيقة عما كانت بحسب نفسها ، فالوجود اذن يمتنع ان تحصل حقيقته في ذهن من الاذهان . نعم يمكن العلم بالوجود علماً حضورياً كعلم النفس بذاتها وفعالها ، ولكن هذا العلم ليس من نوع العلم المقصود بالتعريف ، فان معنى تعريف الشيء هو تحصيل صورة عنه عند العقل وهو العلم الحسولي .

الدرس الثالث

اشترك الوجود

ان العلم الضروري حاصل لكل أحد بان المفهوم من لفظ الوجود معنى واحد في جميع ما يحمل عليه من المصاديق ، فهو - أي مفهوم الوجود - مشترك بين تلك المصاديق اشتراكاً معنوياً ، ومن زعم ان الوجود غير مشترك وان لكل موجود مفهوماً خاصاً يباين مفهوم الوجود في الموجود الآخر فقد كذب نفسه بنفسه ، وقد قال باشتراكه وهو لا يشعر من حيث يظن أنه قائل بعدم اشتراكه ، لانه حينما يقول بان الوجود غير مشترك فما هو هذا المعنى الذي حكم عليه بأنه غير مشترك ، انه لا بدّ قد تصوّر مفهوماً جامعاً أي مشتركاً وحكم عليه بانه غير مشترك فناقض نفسه .

ولا يتأتى له ان يتصوّر مفهومات لا نهاية لها لكل موجود و باعتبار كل واحد منها يحكم عليه بانه مشترك أو غير مشترك . والحاصل ان اشتراك مفهوم الوجود أمر بديهي يكاد يكون في بدايته قريباً من بدهية نفس مفهوم الوجود . وقد أكل الدهر وشرب على اولئك القائلين بعدم اشتراكه ، فنحن في غنى عن الاستدلال على اشتراكه . ولعل القائلين بعدم اشتراك الوجود غرضهم منه تباين الوجودات الخاصة ، والتي هي موجودات بالحمل الشايع ، لان لكل موجود مفهوماً منتزعا يابى المفهوم المنتزع من الآخر . ولكن ضاق بهم التعبير فأوهم كلامهم ذلك ، للخلط الذي يحصل بين ما هو وجود بالحمل الأولي ووجود بالحمل الشايع الصناعي ، أي بين العنوان والمعنونات بحدودها الخاصة .

الدرس الرابع

زيادة الوجود على الماهية

من الأمور التي وقع فيها الخلاف ان الوجود زائد على الماهية عارض عليها ، أو أن

الوجود عين الماهية .

ونحن اذا فرّقنا جيدا بين مفهوم الوجود وحقيقته فانا نستطيع ان نوفق بين القولين ونوقع التصالح بين المتنازعين ، فان من قال بزيادة الوجود على الماهية أراد مفهوم الوجود ، فان العقل يحلّل كل شىء الى شئيين : ماهية ووجود ، أي ان كل ممكن موجود ، ومعنى ذلك انه شىء ثبت له الوجود ، ولذا قالوا : ان كل ممكن زوج تركيبى ، فيكون الوجود زائداً على الماهية تعقلاً ومعنى .

وأما من قال بان الوجود عين الماهية فلا أظنه يزعم انه عينها تصوراً ومعنى وأن المعقول من الماهية نفس المعقول من الوجود ، فان هذا لا ينبغي ان يتوهمه عاقل ، بل المراد أن حقيقة كل شىء موجود هو نحو وجوده الخاص . فالوجود تحققاً نفس الماهية ، فهما متّحدان هوية اتحاداً حقيقياً من باب اتحاد اللا اقتضاء مع الاقتضاء ، كالاتحاد بين الجنس والفصل ، واللا اقتضاء من جانب الماهية إذ أنها من حيث هي ليست الاهی ، لا تقتضي وجوداً ولا عدماً وانما توجد بالوجود ، ومعنى وجودها بالوجود ثبوتها وتحققها ، لا ثبوت شىء لها ، وبهذا يقع التصالح بين الطرفين وكلا القولين صحيحان فان الوجود زائد عارض الماهية تصوراً ومعنى ، ولكنه عينها تحققاً وخارجاً ، ولذا قال الحكيم السبزواري في منظومته : «ان الوجود عارض الماهية تصوراً واتحداً هوية» وعليه فليس معنى زيادة الوجود على الماهية وعروضه عليها انهما متباينان بحسب الحقيقة كيف وحقيقة كل شىء كما قلنا هو نحو وجوده الخاص ، كما انه ليس معنى ذلك ان الوجود عرض قائم بالماهية قيام الاعراض بموضوعاتها حتى يلزم ان يكون للماهية سوى وجودها الخاص وجود آخر قبله فيتسلسل الى غير النهاية ، بل معنى زيادة الوجود على الماهية ان الوجود الامكاني لقصوره وفقره مشتمل على معنى آخر هو غير حقيقة الوجود منتزع منه منبعث عن امكانه وقصوره ، وهذا المعنى الآخر هو الذي نسميه بالماهية ، فيكون المعقول من الوجود غير المعقول من الماهية ، ويكون الوجود في التصوّر عارضا على الماهية محمولاً عليها . حينما نقول : الانسان موجود ، الشجر موجود ، الماء موجود وهكذا ... ولكن هذا

الحمل اذا لُحظ باعتبار الذهن فان معناه ثبوت شىء لشىء الذي هو مفاد كان الناقصة و اذا لُحظ باعتبار الهوية والخارج فان معناه ثبوت الشىء الذي هو مفاد كان التامة .

وسياتي ما يوضح كيفية هذا الحمل الاعتباري .

الدرس الخامس

أصالة الوجود

من المسائل الفلسفية التي أثير البحث عنها عند المتأخرين من فلاسفة الدورة الاسلامية مسألة ان الاصل في التحقق هو الوجود او الماهية ، وليس في عبارات المتقدمين ما يشير الى انهم قد عُنوا بالبحث عن هذه المسألة حتى مثل الفارابى والشيخ الرئيس ، وان كانت عباراتهم لا تعدم ما يشير الى اختيار احد القولين ، لا سيما القول باصالة الوجود في عبارات الشيخ الرئيس .

والرأي السائد الى ما قبل الملائصدر المتألهين كان على اصالة الماهية حتى انه هو نفسه كان يذهب الى هذا الرأي أول نشأته الفلسفية تبعاً لاستاذه الحكيم السيد الداماد ، وهو فيما نعلم أول باحث أوضح رأي اصالة الوجود وبرهن عليه ، ولاحق هذا الرأي في فلسفته . وبنى عليه كثيراً من آرائه العلمية في المسائل العويصة المشكلة والمهم لنا :

اولاً : ان نفهم ماذا يعنون من اصالة الماهية . فنقول : انهم يعنون من ذلك ان المتحقق حقيقة في الاعيان والمشار اليه بكلمة هذا والذي له الأثر والتأثير والتأثر ما هو ؟ هل هو الوجود أم الماهية ، فالذي هو المتحقق المشار اليه وصاحب الاثر هو الاصل و الآخر يكون امراً انتزاعياً اعتبارياً ينسب اليه التحقق والاثر والتأثير والتأثر بالتبع وثانياً وبالعرض . وبعبارة اخرى أدق ان مفهوم الوجود وكذا مفهوم ما هو ماهية كمفهوم الانسان مثلاً مفهوم ان انتزاعيان ، ولكنهما منتزعان من شىء واحد في العين

﴿ السنة الأولى ﴾ مباحث الوجود ١٧

وهوية متحققة واحدة شخصية ، وكل واحد منهما يكون حاكيا عن تلك الهوية ، ويشار به اليها وهذا الاخلاف فيه ، وانما الاخلاف في ان هذه الهوية العينية الواحدة ماذا تحاذي من هذين المفهومين ويكون حاكيا عنها اولاً وبالذات على وجه يكون حاكيا بلاحيثية اخرى ولا قيد . ويكون المفهوم الآخر ليس ما يحاذيه ويحكي عنه الاً بحيثية المفهوم الاول وقيدته فيكون هذا المفهوم الآخر انما يحكي عن الهوية العينية بتبع الاول وثانياً وبالعرض .

فقائل يقول : ان المفهوم الاول هو الوجود فيكون هو الاصل وقائل يقول : ان المفهوم الاول هو الماهية فتكون هي الاصل ، وبعبارة اخصر ان الهوية العينية يصح التعبير عنها بالموجود ولا شك في ذلك ، ولكن عمّ يحكي مفهوم الموجود اولاً وبالذات وما هو الاحق والأولى والاصل في صدق الموجود عليه هل هو الوجود او الماهية ؟ وأيهما كان فان الآخر انما يكون موجوداً بالتبع وثانياً وبالعرض .

وبهذه التقريرات في بيان وتوجيه النزاع اظنه اصبح واضحاً لديك معنى الاصل المقصود في المقام ، كما يصبح واضحاً ايها الاصل : الوجود او الماهية .

فان الوجود اذا قيل عنه انه موجود ، فانه بنفسه موجود لا يحتاج في انتزاع مفهوم (موجود) عنه الى قيد آخر أو حيثية اخرى ، فان ذاته بذاته احق بصدق الموجود وأولى ، فهو الأصل وغيره هو الفرع ، فان الانسان مثلاً انما يحمل عليه انه موجود لاتصافه بالوجود ، أي لانه شىء ثبت له الوجود ، أما الوجود فهو موجود بذاته بلاحاجة الى ضم وجود آخر اليه ، فليس هو شيئاً ثبت له الوجود ، وهذا نظير البياض مثلاً ، ومعرضه الجسم ، فان الجسم ابيض ولكن لابذاته بل بضمّ البياض اليه ، اما البياض فهو أبيض وأحق ان يقال له ابيض ، لانه ابيض بذاته بلاحاجة الى ضمّ بياض آخر اليه .

فالهوية العينية انما تحاذي بكلمة الوجود والوجود حاك عنها اولاً وبالذات ، وليست الماهية بحاكية عنها الا بالتبع ، لانها اتصفت بالوجود ، وعليه فالمتحقق المتأصل والمشار اليه وصاحب الاثر والتأثير والتأثر هو الوجود ، والماهية -كالانسان-

انما تتحقق ويشار اليها وتكون صاحبة الاثر بالوجود ، والحاصل ان الوجود نفس ثبوت الماهية الذي هو مفاد كان التامة لاثبوت شيء للماهية . فلا ثبوت للماهية مع قطع النظر عن الوجود ، فكيف تكون هي المتأصل ، والوجود يكون فرعاً عنها ، بل التحقق انما يكون للوجود فهو الاصل ، والماهية منه تنتزع ، والماهية من حيث هي ليست الا هي لا موجودة ولا معدومة ، وانما المتأصل هو المصداق والمعنون أي ماهو بالحمل الشايع ، ولكن القائلين باصالة الماهية غلب عليهم الوهم فلم يستطيعوا التفرقة بين مفهوم الوجود ومصداقه ، ولا بين عنوانه ومعنونه ، ولم يحسنوا ان يتصوروا معنى ان الموجود هو الوجود ، فلذلك تشبثوا بالقول باصالة الماهية ، ونفى تحقق الوجود بما هو مشهور عندهم وهو قولهم : ان الوجود لو كان حاصلًا في الاعيان فهو موجود لان الحصول هو الوجود ، وكل موجود له وجود فلو جوده وجود الى غير النهاية ، والجواب يعلم مما تقدم ، فان الوجود وكرنه موجودا هو بعين كونه وجودا ، اذ هو موجودية الشيء في الاعيان لان هناك وجوداً آخر حتى يتسلسل الى غير النهاية ، بل هو الموجود من حيث هو موجود بلا حيثية اخرى ولا قيد آخر غير نفس ذاته الموجودة المنتزعة من نفس مقام الوجود ، فالوجود موجود بنفسه ، وهو أحق بالوجود والتحقق مما يكون تحققه بالوجود ، وهي الماهية . واعتبر ذلك في التقدم والتأخر في الزمان والزمانيات ، فان الزمانيات وهي التي يكون الزمان ظرفا لها متقدمة بعضها على بعض ، اما نفس الزمان فان اجزائه متقدمة بعضها على بعض بنفسها ، وهي أحق بوصف التقدم والتأخر من الزمانيات التي يكون تقدمها وتأخرها بالزمان ، فلا يلزم من تقدم اجزاء الزمان بعضها على بعض أن يكون لها زمان آخر فيتسلسل . والحاصل ان الوجود أمر عيني ، ولا يهمننا ان يصح في اللغة أو لا يصح اطلاق الموجود عليه فان الموجودية منتزعة من نفس ذاته سواء صح اطلاق لفظ المشتق عليه بحسب اللغة ام لا ، فان معنى مفهوم الموجود شيء واحد وهو ما ثبت له الوجود ، سواء كان من ثبوت الشيء لنفسه الذي يرجع الى انتزاع هذا المفهوم من نفس ذاته لا باضافة حيثية اخرى ، أم كان من باب ثبوت شيء لغيره الذي يرجع الى

انتزاع هذا المفهوم من اضافة حيثية اخرى الى الموضوع فيكون محمولاً بالضميمة . ولو فرض ان اللغة لا تساعد على ذلك فلا مناقشة في الاصطلاح ، فان المطلوب هنا معرفة الحقائق على ماهي عليه في نفس الامر . هلى ان الحق ان اللغة العربية لا تأبى ذلك ، وان كان الرأي الغالب في المشتق انه مركب ويحل الى شيء ثبت له المبدأ ، ولكن الصحيح ان المشتق بسيط كما حَقَّق في علم الاصول .

الدرس السادس

العدم مفهوم واحد والمعدوم ليس بشيء

ان من الامور التي ترتسم في الذهن ارتساماً اولياً فطرياً مفهوم العدم المقابل للوجود البديل له ، فان نقيض كل شيء رفعه ، ونقيض الوجود رفعه ، وهو العدم ، وبداهة ذلك كبداهة الوجود نفسه ، فاذا اخذ الوجود مطلقاً فنقيضه البديل له هو العدم مطلقاً ، واذا اخذ الوجود مقيداً كوجود زيد وعمر ونقيضه البديل له هو عدم هذا المقيد ، وحينئذ تكون بحسب تعدد ما اضيف اليه العدم اعدام متعددة ، فعدم زيد غير عدم عمرو ، وعدم عمرو غير عدم بكر ، وعدم العلة غير عدم المعلول وهكذا ، ويمكن فرض اعدام متمايضة متعددة إلى ما شاء الله ، فهل تمايز هذه الاعدام يدل على ان للعدم مفهومات متعددة ، وأن في الاعدام المتمايضة شيئاً من التحقق والثبوت في الخارج ؟ وأن المعدوم شيء من الاشياء ؟ الحق في الجواب ان العدم ليس له الا مفهوم واحد ، وان المعدوم ليس بشيء ، فان من الامور البديهية ان مفهوم العدم في نفسه ليس الا أمراً بسيطاً ساذجاً متحد المعنى ، ليس فيه اختلاف وامتياز ، والامتياز انما يحصل من جهة ما اضيف اليه ، وليس في الواقع ولا في الاوهام اعدام متمايضة في ذاتها ، ولذا قيل في القول المعروف : «لاميز في الاعدام» . نعم العقل يتصور أشياء متمايضة في ذاتها أو في عوارضها ، فالعلة والمعلول ، والشرط والمشروط ، نضيف اليهما مفهوم العدم ، فيحصل عنده عدم العلة مثلاً متميزاً عن

عدم المعلول ، فيقال عدم المعلول مستند الى عدم العلة ، ويحصل عنده : عدم الشرط متميزاً عن عدم المشروط ، فيقال عدم المشروط مستند الى عدم الشرط ، وأما مع قطع النظر عن ذلك فلا يتميّز عدم عن عدم ولا معدوم عن معدوم ، فيكون التمايز بين الاعدام تمايزاً عرضياً ينسب الى العدم ثانياً وبالعرض ، والى ما أضيف اليه اولاً بالذات ، فان الوهم بما يجد أن زيداً متميز عن عمرو ، فيغلط ويقول عدم أحدهما غير عدم الآخر ، فاذا ألغيت الاضافة الى تلك الاشياء تلغى تلك الحصص ، وينتزع العقل المفهوم العام الجامع ، وبهذا يتّضح ان المعدوم ليس بشيء ، ولا ثبوت له ولا تحقق ، وليس في نفس الامر شيء هو عدم ، فالعدم بما هو عدم بالحمل الشايح لا يكون معقولاً ولا يكون موجوداً ، وانما يكون الثبوت والتحقق لمفهومه في الذهن ، إذ الذهن من شأنه أن يخترع المفهوم لما يريد التعبير عنه ، ليكون عنواناً وكاشفاً عما يعرض له من مصداق ، فهذا الثبوت انما هو ثبوت ذهني للمفهوم الذي يخترعه الذهن من غير أن يكون حاكياً عن حقيقة من الحقائق ، ومفهوم العدم بما هو مفهوم العدم ليس بعدم كما سبق ان قلنا : ان مفهوم الوجود ليس بوجود ، فوزان العدم بالحمل اشايح وزان الوجود بالحمل الشايح ، من جهة ان كلاً منهما مستحيل ان يكون معقولاً وموجوداً في الذهن ، غاية الامر أن العدم انما لا يكون معقولاً لفرط بطلانه ، وان الوجود لا يكون معقولاً لفرط تحضّله .

الدرس السابع

إعادة المعدوم

من المباحث التي تتعلق بمباحث الوجود والعدم ، مبحث اعادة المعدوم ، وقد أخذ هذا البحث من افكار المتكلمين مأخذاً عظيماً لأنهم ظنوا أن العقيدة بالمعاد الجسماني لاتتم الا اذا قلنا بإمكان اعادة المعدوم ، فدافعوا عن هذا القول دفاعاً حاراً جازمين بان القول بالاستحالة يساوق الكفر والمروق عن الدين . وعليه فيجب ان

ننظر الى المسألة من ناحيتين : من ناحية ارتباطها بعقيدة المعاد الجسماني ، ومن ناحية النظرة الفلسفية الخالصة .

أما من الناحية الأولى ، فالحق انه لا ارتباط بين الرأيين ، أي ان صحة المعاد الجسماني لا تتوقف على القول بإمكان إعادة المعدوم كما ظنوا ، لأن الجسم بالموت انما تفرق أوصاله ، وتنحل أجزاءه ، ويصير رميماً ، فلا تنعدم أجزاءه الاصلية ، وهي ذراته بل تبقى سابحة في الكون المادي ، ومعاده هو جمعها مرة ثانية بعد تفرقها وبعثها حية سوية ، وليس هذا من إعادة المعدوم في شيء ، بل هو جمع المتفرق ، وتأليف المنحل ، واحياء العظام وهي رميم ، فالمعاد الجسماني - اذن - ليس من إعادة المعدوم حتى نحتاج الى تصحيح إعادة المعدوم .

وأما من الناحية الفلسفية الخالصة ، فينبغي ان يكون من الواضح البديهي إمتناع إعادة المعدوم اذا اريد به إعادة شخص ذلك الموجود أولاً كما هو المقصود في المعاد ، لانه قد تقدم منا ان وجود الشيء عين هويته الشخصية ، فقوام تشخص الشيء بوجوده ، بل الوجود عين التشخص ، فالوجود الثاني بعد العدم وجود شخص ثان لاعين الاوّل ، فيكون مثله لانفسه ، وإلا لكان الواحد اثنين والاثنين واحداً ولو فرض بقاء ذات الموجود بعد عدمه ليكون الوجود الثاني طارئاً على ذات المعدوم لكان هذا الفرض مساوفاً لفرض ان المعدوم بالحمل الشايع له ذات ثابتة ، وقد سبق ان أقمنا الدليل على ان المعدوم ليس بشيء ، وليس له أية ذات وأي ثبوت - والخالصة ان تشخص كل شيء انما هو بوجوده الخاص ، فالوجود الثاني بعد العدم شخص ثانٍ مباين للأول في تشخصه ، ولو فرض انه كان مشابهاً له من جميع الجهات فلا يكون الا مثلاً له من جميع الجهات لا عيناً له .

السنة الثانية

﴿ مباحث الوجود الذهني ﴾

- الوجود الذهني
- الملجئ إلى انكار الوجود الذهني
- رد لشبهتي منكري الوجود الذهني
- أقسام الجعل ﴿
- الجعل قسمان
- ماهو المجعل لذاته؟ الوجود أم الماهية؟
- تقسيم الوجود إلى المحمولي والرابط ﴿
- قسم الحكماء الوجود إلى قسمين
- تحقيق في معنى الوجود الرابط
- مواد القضايا وجهاتها
- الجهات اعتبارات ذهنية
- النتيجة

السنة الثانية :

مباحث الوجود الذهني الدرس الثامن

الوجود الذهني

اصبحت من أدق المباحث الفلسفية مسألة الوجود الذهني . والنزاع وقع فيها من جهة ثبوته وعدمه ، إذ أثبتته عامة الفلاسفة ونفاه جماعة من الباحثين ، وليس في هذا البحث فائدة لنا .

الذي يبدو لأول وهلة ان نفيه من اسخف الآراء ، فيعجب الإنسان كيف يتسنى لأحد ان ينكره أو لا يعترف به ، لا شك ان الانسان يتصور ويفكر ويعقل ويعلم ويتخيل وهذا هو الوجود الذهني ، لو كان النافون يقصدون نفي التصور والعلم ... الخ لكان سخفاً ولكنهم قطعاً لا يقصدون ذلك . اذن ماذا يقصدون من هذا النفي ؟ انهم ينكرون ان يكون للماهية تحقق ووجود لدى الذهن في مقابل الوجود الخارجي ، بل يقولون ان التصور ليس الاضافة بين الذهن وبين الشيء المتصور ، فالوجود الذهني عندهم ليس الا وجود هذه الاضافة ، لانه هناك شيء يتحقق لدى الذهن ، وعلى قولهم ينتزع من هذه الاضافة عالم ومعلوم ، وعقل ومعقول ، وحاس ومحسوس وهكذا ، وهي بذلك نظير الاضافة الوضعية بين الشيئين التي ينتزع منها أمام وخلف أو فوق وتحت ، أو مستقبل أو مستدبر ، اما الحكماء المثبتون فيعنون ان للماهيات

سوى هذا الوجود الظاهري العيني الخارجي نحواً آخر من الوجود، وظهوراً ثانياً لدى الذهن، وسموه بالوجود الذهني، باعتبار ان محل ظهوره وأفق تحققه هو الذهن وهو هذا الذي يحصل للانسان من التصور والتخيل والتعقل في مداركه الذهنية ومشاعره الحسية، وقد يسمونه بالظهور الظلي والوجود النوري، وبنص العبارة نقول: انهم يعنون من قولهم هذا ان للماهية الواحدة بذاتها وذاتياتها وبنفسها طورين ونحوين من الوجود، فهذه الماهية الواحدة محفوظة في الوجودين، فكما ان لها وجوداً مستقلاً في خارج الذهن على وجه يكون الخارج ظرفاً لوجودها فيكون الامر الخارج مصداقاً لها، كذلك لها وجود مستقل قائم لدى الذهن على وجه يكون ظرفاً لوجودها ويكون الامر الذهني مصداقاً لها.

والمنكرون للوجود الذهني القائلون بانه محض الاضافة يبطل قولهم تصور المعدومات لان الاضافة - آية اضافة فرضتها - تستدعي وجود طرفين لها والمعدوم لاوجود له حسب الفرض، فما هو الطرف الثاني للذهن يكون مضافا اليه التصور لينتزع منه أنه معلوم ومعقول؟ وهذا لايرد على القائلين بثبوت الوجود الذهني فانهم يقولون بالعلم بالمعدومات أي ان ماهية المعدوم تتحقق بنفسها لدى الذهن فتكون موجوداً ذهنياً، وإن لم يكن لها وجود خارجي ولا يجب في الموجود الذهني ان يكون خارجياً.

وأمتن الادلة على الوجود الذهني صحة الحكم الايجابي على المعدومات التي لا وجود لها في الخارج مثل: «اجتماع النقيضين مغاير لاجتماع الضدين»، ولا شك في ان الموجبة تستدعي وجود موضوعها، لان وجود شئىء لشيىء يستدعي وجود المثبت له، وحيث لم يكن هذا الثبوت في افق الخارج لانه معدوم حسب الفرض فلا بد ان يكون الثبوت في أفق آخر وليس هو الا الذهن.

الدرس التاسع

الملجىء الى إنكار الوجود الذهني

وبعد ذلك الدليل يحق لنا ان نتساءل عما ألجأ النافين للوجود الذهني الى هذا الانكار، فانه بيت القصيد في المسألة فنقول: ان الذي ألجأ هؤلاء الى انكاره شبهات عويصة نذكر بعضها.

منها: انه اذا كان معنى الوجود الذهني انه تحصل في اذهاننا حقائق تلك الاشياء، فلو تصوّرنا الحرارة لوجب ان يكون الذهن حاراً. فيلزم اتصاف النفس بصفات تلك الاشياء. واتصافها بالامور المتضادة في آن واحد، وبطلان هذا من اوضح الواضحات. ومنها: انه لو كان الوجود الذهني تنحفظ فيه ذاتيات المعلوم، فيلزم ان يكون المعلوم الذهني من الجوهر جوهرأ، والجوهر حقيقة هو الموجود لا في موضوع، مع انهم قد جعلوا جميع التصوّرات الذهنية كيفيات، أي انها اعراض من مقولة الكيف موجودة لموضوعها وهو النفس، فيلزم ان يكون شىء واحد موجوداً لموضوع موجوداً لا في موضوع، ويلزم اندراج حقيقة الجوهر في الكيف المباين له في حقيقته وهو محال. وأجاب عنهم البعض: ان الموجود في الذهن ليس حقائق تلك المعلومات، بل اشباحها الحاكية عنها بوجه. والفرق بين هذا القول وبين القول بالوجود الذهني واضح، فان هذا القول يمكن ان نسميه من الآن القول بالشبح، ونسمي القول الثاني بالقول بالمثل وان كان هؤلاء ايضا يعبرون بالشبح والظل ولكن يقصدون به معنى آخر، انهم يقصدون ان الموجود الذهني شبح لما في الخارج وظل له، لكونه مثلاله باعتبار أن الماهية الواحدة على قولهم اذا كان لها وجود خارجي فلها فردان: فرد خارجي وفرد ذهني، والفرد الذهني مثل للفرد الخارجي، ومن هذه الجهة يكون شبحاً له حاكياً عنه، اما القائلون بالشبح فلا يقولون بانه شبح لما في الخارج، بل شبح عن نفس الماهية او المفهوم او المعنى ماشئت فعبر، فالموجود

الذهني عندهم ليس فرداً من تلك الماهية ، بل من حقيقة اخرى تكون حاكية وشبها عن نفس الماهية ، فالمتصوّر يكون شبهاً عن نفس الماهية لا عن فردها الخارجي . وهذه المحاكاة عندهم تشبه محاكاة اللفظ عن المعنى مع تغييرهما بحسب الحقيقة ، وتشبه محاكاة النقوش الكتابية عن الالفاظ مع تغييرهما ، غيران محاكاة اللفظ عن المعنى ومحاكاة الكتابة عن اللفظ انما هي بحسب الوضع والاعتبار ، ومحاكاة النقوش الذهنية عن الماهية بحسب الطبيعة .

وبهذا المسلك (مسلك الشبح) حاولوا ان يجمعوا بين ادلة الاثبات وادلة النفي ، فانه لما دل الوجدان والبرهان على ان الذهن يتصوّر الحقائق ، ويجرى عليها الاحكام ويخبر عنها ، وامتنع ان توجد نفس الحقائق في الذهن ، فلا بد ان يكون الموجود ما يحكي عنها وهي اشباحها وظلالها . ولكن هذا القول بالشبح لا يظن انه يكون جمعا بين الادلة ، فان دليل الوجود الذهني - اذا صح - حسب ما يعترفون به ، فانه يدل على ان للماهيات بنفسها وجودا في الذهن ، ولذا يصح الحكم عليها ، لان هناك أمراً آخر مبانياً لها بحقيقتها كالنقوش الخطية والهيئات الصوتية ، فان الاتحاد المصحح للحكم بين النقش واللفظ وبين اللفظ والمعنى انما هو اتحاد جعلي باللحاظ والتنزيل ، والمفروض انه ليس هنا جعل ووضع ولا اتحاد حقيقي حسب قولهم ، فكيف صح الحكم على الماهيات بسبب الحكم على اشياء مغايرة لها بحقائقها ؟

هذا ولكن من جهة اخرى قد يجيب القائلون بالشبح عن هذا الاشكال بانه كيف تصنعون بالمعدومات ، فان مفهوم العدم ليس من حقيقة العدم ، ومثله الحرف فان مفهومه ليس من حقيقة الحرف ، وهكذا ، فالموجود في الذهن منها نفس ما يحكم عليه بالحكم الايجابي الخارج ، فلا بد ان يكون ما في الذهن شبهاً لما يحكي عن حقيقة هذه الاشياء ، واذا كان الامر في الوجود الذهني لمثل هذه الاشياء على نحو الشبح ، فليفرض كذلك في جميع الاشياء الأخرى . على ان دليل القائلين بالمثلي انما هو في خصوص المعدومات التي لا بد ان يكون الامر فيها كما قلنا على نحو الشبح ،

وغاية ما يدل عليه دليل القائلين المذكور انه لا بد من وجود موضوع القضية ذهنياً ، فليفرض ان هذا الموضوع هو الشبح الحاكي ، واما الاتحاد المصحح للحكم على ما يحكي عنه الشبح فلا ينحصر بالجعل والوضع ، ولا بالاتحاد الحقيقي ، فانه باعتبار ان الذهن لما امتنع عليه ان يوجد صورة حقيقة لبعض الامور فانه يلتجئ الى لاجل التوصل الى التعبير عنها والتعرف لاحكامها أن يخلق بحسب ماله من قوة متصرفه بعض المفهومات ، ويخترعها من نفسه ، فيجعلها عنواناً لتلك الأمور لغرض الحكاية عنها والتعبير عنها ، ولكن بفرضه الاتحاد بين الحاكي والمحكي عنه ، وهذا من خصائص الذهن الطبيعية ، اذ اعطاه الله هذه القوة المتصرفه ، لغرض التعبير عما يريد التعبير عنه ، مما لا يناله بنفسه ، فجعله خلاقاً للمعاني والمفهومات : لما له مصداق حقيقي موجود في الخارج ولما يفرض ان له مصداقاً وان لم يكن موجوداً خارجاً .

أقول : هذا غاية ما يمكن ان يتشبث به القائلون بالشبح ونحن نقول لهم في الجواب : نعم ان الذهن كما قلتم خلاق للمعاني لغرض الحكاية عما وراءها مما هو من مصاديقها الحقيقية او المفروضة ، ولكن من يقول بالمثل لا يريد أن يقول : ان معنى وجود حقيقة الانسان مثلاً بالذهن ان مفهوم الانسان يصدق عليه انسان بالحمل الشايع ، بمعنى انه يكون مصداقاً للإنسان من جهة ما هو مفهوم حتى تقولوا ان مفهوم العدم ليس من حقيقة العدم ، اذ لا يصدق عليه انه عدم بالحمل الشايع ، وكذلك الحرف والجزئي ونحوهما ، وانما غرض هذا القائل ان ما هو معلوم وموجود في الذهن نفس مفهوم الانسان لاشبحة والحاكي عنه ، أي ما هو انسان بالحمل الأولي وهذا هو الذي يخلقه الذهن للتعبير عما يقصد الحكاية عنه ، فالعدم بنفس حقيقته اي بنفس حقيقة مفهومه الذي جعله العقل يكون موجوداً في الذهن .

وعلى كل حال فجميع المفاهيم الموجودة في الذهن هي مفاهيم بالحمل الأولي ، لا تخرج عن كونها كذلك ، أي لاندعي انها يصدق عليها المفهوم مرة اخرى بالحمل الشايع ، نعم بعض المفاهيم قد يكون لها هذا الشأن لخصوصية فيها لا باعتبار

كونها مفاهيم مثل مفهوم شئىء فانه شئىء بالحمل الاولي وشئىء بالحمل الشايع باعتبار وجوده الذهني والشئىة ترافق الوجود، فكل ما هو موجود باي نحو من انحاء الوجود، فهو شئىء من الاشياء، ومثله مفهوم الكلي، ومفهوم الماهية، فان مفهوم الكلي كلي بالحمل الأولي والشايع معا، وكذا مفهوم الماهية.

الدّرس العاشر

ردّ لشبهتي منكري الوجود الذهني

واذ انتهينا الى هنا من تقريب مايرمي اليه القائلون بالمثل، علينا ان نرجع الى ما ذكرنا من الشبهتين اللتين وُجّهتا على هذا القول:

اما الاولى وهي لزوم ان يكون الذهن حاراً بارداً عند تصور الحرارة والبرودة وهكذا، فقد اتضح الجواب عنها مما أو مانا اليه، من ان الذهن خلاق للصور الذهنية بما أودع الله فيه من قوة الابداع والتصوير، فجعل النفس مثالا له في الابداع والابداع لا مثالا له، فانه تعالى منزّه عن المثل لا عن المثال، فجعلها كذلك لتكون مرآة لمعرفته كما في الحديث الشريف «من عرف نفسه فقد عرف ربه» لانها على مثاله. ومما يشير الى هذا المعنى من خلق النفس للصور الذهنية قول الامام الباقر (عليه السلام) أو الصادق (عليه السلام): «كل ما تصوّرتموه باوهامكم بأدق معانيه فهو مخلوق لكم مردود عليكم» واذ كان الامر كذلك فقيام الصور في النفس قيام صدور وابداع وفعل، لقيام انفعال وحلول، فلا يجب ان تكون وصفاً لها، والله تعالى مفيض الوجود ومبدع الاشياء، وكل ما في الكون قائم به قيام صدور وخلق، ولكن الاشياء ليست قائمة به قيام الصفة بموصوفها، والحال بمحلّه فلا تكون نعتاً له ووصفاً وهذا جلي واضح، الا ترى ان الحواس الظاهرية تدرك الاشياء المحسوسة، ولكنها لا تتفاعل بها كانهفعال الاجسام بها، لتكون وصفاً ناعتاً لها، والسّر أن الصور المحسوسة

موجودة للحواس بنفس وجود الحواس وجود صدور لاحلول ، فيتحد بها اتحاد المعلول بعلمته ، مثلاً حاسة اللمس اذ تحس بالخشونة مثلاً لاتنصف بالخشونة ، وحاسة السمع تدرك الغناء مثلاً ولكنها لاتكون مغنية ، وهكذا القول في جميع القوى الادراكية لصور الاشياء .

وأما الشبهة الثانية المستعصية كما قلنا ، فهي انما تكون مستعصية على من يذهب الى ان قيام الصور الذهنية في النفس قيام العرض بمعرضه من مقولة الكيف ، أو من مقولة الانفعال ، أو أية مقولة اخرى ، والحق ان العلم ليس الانحواً من الوجود الاشراقي في النفس ، فلا يدخل في كيف ولا في أية مقولة اخرى ، وأي ملزم لنا بالالتزام بان العلم من احدى المقولات التي لها وجودات خارجية ، بل المقولات كلها من انتزاع الذهن وفرضه ، والماهيات كما قررنا سابقاً امور اعتبارية يعتبرها الذهن للموجودات .

وليس المعلوم الانفس العلم وجوداً ، ومفهوم الجوهر اذ يوجد في النفس فهو مفهوم الجوهر لاكثر ، وهكذا جميع المفاهيم ، ولا يدعي القائل بالمثل ان المفهوم ينقلب فيكون مصداقاً للمفهوم مرة اخرى بل هو مفهوم الى الأبد ، أي ما يصدق عليه المفهوم بالحمل الاولي ، فالجوهر بحقيقته الجوهرية اي بحقيقة مفهومه جوهر بالحمل الأولي ، وهو كذلك موجود في الذهن ، لافي حقيقته الخارجية ، أي ما هو جوهر بالحمل الشايع موجود في الذهن ، وانما تتأتى الشبهة كلها اذا توهمنا ان معنى وجود المفهوم بحقيقته في النفس ان يكون هو المفهوم بالحمل الشايع .

أقسام الجعل

الدرس الحادي عشر

الجعل قسمان :

١ - (الجعل البسيط) : وهو افاضة نفس الشيء و ايجاده ، فمتعلق الخلق نفس.

الشيء او نفس وجوده ، دون ان يكون مشوباً بتركيب ، والاثر المترتب عليه هو مفاد كان التامة ، فيقال : كَوْن الشيء فكان ، ويسال عنه بهل البسيطة ، مثاله قوله تعالى : «جاعل الظلمات والنور» «وجعلنا من الماء كل شيء حي» .

٢- (الجعل المؤلف) ويسمى الجعل المركب والتألفي ، وهو جعل الشيء شيئاً واثبات شيء لشيء ، فمتعلقه ثبوت شيء لشيء أو وجوده له الذي يسمى باصطلاحهم (الوجود الرابط) ، أي وجود النسبة بين طرفين ، فلذلك يستدعي الجعل المؤلف طرفين مجعولا ومجعولا له ، أو فقل موضوعا ومحمولا بخلاف الجعل البسيط ، مثاله : «وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا» .

تنبيه

الجعل المؤلف يختص تعلقه بالامور العرضية المفارقة ، كجعل الجسم أبيض والانسان ضاحكاً ، لخلو الذات عنها بحسب الواقع ، اما بالنسبة الى الذات فلا يعقل ان تجعل الذات ذاتا ، أو يجعل الانسان انساناً لأن الذات لا يعقل ، نعم انما المعقول هو جعل الذات بالجعل البسيط .

واما الامور العرضية اللازمة غير المفارقة (كالذاتيات) ، فلا يعقل ايضاً تخلل الجعل المؤلف بينها وبين ملزوماتها ، فان ثبوت اللازم لملزومه ضروري ، ولذا سمياً لازماً وملزوماً فيستحيل انفكاكه عنه ، واذا استحال انفكاكه عنه استحال جعله جعلاً مؤلفاً .

واذا قيل ان العرض اللازم مجعول فينبغي ان يكون المراد منه انه مجعول بالجعل البسيط بتبع جعل ملزومه جعلاً بسيطاً ، فان جعل الاربعة مثلاً جعل للزوجة بجعل واحد ينسب الى الاربعة بالذات والى الزوجية بالتبع ، لا أن الاربعة مجردة عن كونها زوجاً ثم نجعل الزوجية لها بالجعل التألفي ، لاستحالة وجود الاربعة دون وجود الزوجية .

الدرس الثاني عشر

ما هو المجموع لذاته ؟ الوجود أم الماهية ؟

ما هو الاثر الناتج عن الجاعل والمعلول للعلة والمجموع للجاعل أولاً وبالذات الوجود ام الماهية ؟

المشائيون : أتباع المعلم الأول ارسطو على الاول ، وينتزع عندهم من الوجود الماهية فهي مجعولة بالعرض وبالتبع .

الاشراقيون : أتباع استاذهم افلاطون على العكس ، والجعل للماهية عند افلاطون يستلزم موجودية الماهية ، فالوجود امر عقلي منتزع ومصدقه نفس الماهية ، وصدق الوجود عندهم على الذات نظير الماهية ، فهي لا تحتاج ان تجعل موجودة ، فيلزم من ذلك أن الوجود لازم الماهية لزوماً غير مفارق ، واللازم ضروري لملزومه فيستحيل جعله الا بالتبع والحق عندنا هو الاول .

وقولهم مبتن على جعل الوجود اعتبارياً وعارضاً ذهنياً ، فلا يوصف بالحدوث والزوال والطريان .

وقد اشكلوا على كون الوجود هو المجموع بالذات بأنه : لو كان تأثير العلة في الوجود لكان كل معلول لشيء يصح لان يكون معلولاً لغيره من العلل ، ولجاز أن تكون كل علة لشيء علة لجميع الاشياء ، اذ المفروض ان الوجود حقيقة واحدة ، فلا بد ان تكون علة كل فرد منه صالحة لعلية فرد آخر ، لان حكم الامثال فيما يجوز وفيما لايجوز واحد ، ولا شك ان هذا اللازم ظاهر البطلان .

والجواب واضح بعدما قدمنا في صدر مبحث الوجود ، من أن الفرق بين مفهوم الوجود ومصدقه من باب الفرق بين العنوان والمعنون ، ولكن قد اختلط على المشكل هذا الفرق البديهي ، فتخيل ان صدق مفهوم الوجود على مصاديقه من باب صدق الكلبي على افراده .

وعليه فنحن نقول للمشكل : نعم ان مفهوم الوجود واحد كلي ولكن صدقه على مصاديقه ليس من قبيل صدق الكلي على افراده ، وليست الوجودات بافراد له ، واما المعنون وهو الوجود بالحتمل الشايع فليس هو ماهية كلية ولا جنسية ولا نوعية ولا عرضية حتى تكون لها افراد متماثلة ، (ولا مثل للوجود) ، بل حقائق الموجودات متباينة بانفسها ، وخصص الوجود ومراتبه مختلفة بذاتها ، ومن حدودها الخاصة تنتزع الماهيات ، ولذا قيل ان مابه الافتراق في الوجود عين ما به الاشتراك .

فالموجود في الخارج ليس الا الوجود بالذات ، لان عنوان موجود منتزع من نفس ذاته بغير ضميمه اخرى ، واما ما يُسمى بالماهية فانما هو متحد مع الوجود ضرباً من الاتحاد ، وهو اتحاد اللا اقتضاء مع الاقتضاء ، بمعنى ان للعقل ان يلاحظ لكل وجود من الوجودات معنى منتزعاً منه ويصفه بذلك المعنى بحسب الواقع ، فالمحكى هو الوجود والحكاية هي الماهية .

نعم ، ان الوجود ايضا ينتزع منه أمر مصدرى وهو عنوان الوجود ، وهو الوجود بالحتمل الاولي الذي يعرض للماهية عند اعتبار العقل اياها وهو - كما قلنا - ليس من حقيقة الوجود في شىء فوجود كل ماهية بنفس ذاته يقتضى التعين بتلك الماهية ، لا بسبب ذاته ، فالوجود بما هو وجود وان لم يصف اليه شىء غيره يكون علة ويكون معلولاً ، ويكون شرطاً ويكون مشروطاً ... وهكذا ، والوجود العلي غير الوجود المعلولي ، والوجود الشرطي غير الوجود المشروطي ، كل ذلك بنفس كونه وجوداً ، لا بانضمام شىء زائد على ذاته ، وهذه هي الدقة في الموضوع التي تسبب اختلاط الذهن وارتباكه .

تقسيم الوجود الى المحمولى والرابط الدّرس الثالث عشر

قسّم الحكماء الوجود الى قسمين :

١ - الوجود المحمولى : ويقصدون به نفس ثبوت الشئىء ، أي ما هو مفاد كان التامة والذي يقع محمولاً في هل البسيطة ، كوجود الانسان والحجر والبياض والقيام ونحو ذلك من الموجودات ، وانما سمّي محمولاً لانه يحمل على الماهية ، فيقال مثلاً : الانسان موجود ، والبياض موجود ، والقيام موجود ... وهكذا ...

٢ - الوجود الرابط ، ويقصدون به ثبوت شئىء ، أي ما هو مفاد كان الناقصة ، وهو ما يقع رابطة في الحملات الموجبة ، ولا يقع محمولاً حتى في مفاد كان الناقصة ، وستأتي زيادة توضيح لذلك .

ثم الوجود المحمولى قسموه الى قسمين ايضاً :

١ - الوجود النفسي : ويقصدون به تحقق الشئىء في نفسه ولنفسه ، كوجود الجواهر .

٢ - الوجود الرابطي : ويقصدون به تحقق الشئىء في نفسه ايضاً ، ولكن في عين الحال يكون ثابتاً لغيره ، يعني انه بعين ثبوته في نفسه هو ثابت في شئىء آخر أو ثابت لشئىء آخر ، فهو على نوعين : مثال ما هو ثبوته في نفسه عين ثبوته في شئىء آخر ، وجود العرض المقابل للجواهر ، كوجود السواد في الجسم ، فان السواد ثابت في نفسه ، ومع ذلك بعين ثبوته نفسه هو ثابت في الجسم أي حالّ فيه . ومثال ما ثبوته في نفسه عين ثبوته لشئىء آخر ، وجود المعلول لعلته ، لاقيام العرض بمحلّه ، بل قيام المعلول بالعلة ، كما سبق قيام صدور لاقيام حلول ، فالوجود الرابطي غير مختص بالأعراض كما توهمه بعضهم ، ولاجل هذا فرّقنا في التعبير ، فقلنا مرة ان الرابطي يكون تارة في غيره ، واخرى لغيره لنوضح شموله للنوعين ، والا فكثيراً ما يقولون : إن

العرض موجود لموضوعه ، فيأتون باللام مكان في وهو تعبير صحيح ، فلذلك يمكننا ان نعبر تعبيراً واحداً يجمع النوعين فنقول : الوجود الربطي ما كان وجود في نفسه عين وجوده لغيره .

وعلى كل حال فلنوضح معنى ان ثبوته في نفسه عين ثبوته لغيره ، فنقول : انه لو قيل مثلاً: البياض موجود في الجسم ، فهنا اعتباران : اعتبار تحقق البياض في نفسه و ان كان في عين الحال هو موجود في الجسم ، لكنه بقطع النظر عن ذلك ، فيكون بهذا الاعتبار محمولاً لهل البسيطة ، ومفاداً لكان التامة كما لو قلت هل وجد البياض ، أو كان البياض ؟

والاعتبار الآخر هو ان يلاحظ موجوداً في الجسم وان كان بعين الحال هو موجوداً في نفسه ، وهذا مفهوم آخر غير مفهوم تحقق البياض في نفسه وإن كان احدهما عين الآخر واقعاً . ولكن ملاحظة حيثية تحققه في الجسم غير ملاحظة تحققه في نفسه ، فيكون بهذا الاعتبار الاخير محمولاً لهل المركبة ، ومحمولاً في مفاد كان الناقصة . وعليه فيكون مفاد الوجود الربطي أنه حقيقة ناعتية ليس وجوده في نفسه لنفسه ، بل وجوده في نفسه لغيره .

الدرس الرابع عشر

تحقيق في معنى الوجود الربط

قلنا فيما سبق : ان الوجود الربط هو ثبوت شئىء لشئىء الذي هو مفاد كان الناقصه ، وقد يتوهم انه لافرق على هذا بين الوجود الربط والوجود الربطي ، لانه قد قلنا أيضاً ان الوجود الربطي ما كان ثبوته في نفسه هو عين ثبوته لشئىء آخر ، وهذا معناه ان الوجود الربطي هو ثبوته لشئىء آخر ، فالثبوت لشئىء آخر يكون معنىً جامعاً للربط والربطي معاً ، فاي فرق بينهما ؟ ولعله لاجل هذا استعمل بعض

﴿ السنة الثانية ﴾ تقسيم الوجود الى المحمولى والرابط ٣٧

الحكماء احد التعبيرين مكان الآخر ، فسمى الوجود الرابط رابطياً ، اذ لا يرى فرقا بينهما . قلت : فرق عظيم بين المعنيين ولا جامع بينهما اصلاً ، فان معنى الوجود الرابطي انه ثبوت الموجود في نفسه لشيء آخر ، فلذلك ينتزع منه انه ثابت لغيره ، فيكون معنى استقلالياً لا تعليقياً ، ومعنى الوجود الرابط انه ثبوت شيء لشيء لاثبوت الموجود نفسه ، فلا يكون هذا الثبوت ثابتاً لغيره بل الذي يصح ان يقال : ان الثابت لغيره هو ذلك الشيء المضاف اليه الثبوت لانفس الثبوت .

ويتلخص من هذا ان الوجود الرابط هو نفس الثبوت من دون ان ينتزع منه أنه ثابت للغير ، فحقيقة التعلق والربط هو نفس الوجود من دون ان يكون نفسه موجوداً لغيره ، بل ما اضيف اليه يصح ان ينتزع منه انه ثابت وموجود لغيره ، بخلاف الوجود الرابطي فانه هو الثابت للغير ، فمعناه انه هو المتعلق لا التعلق .

وعلى هذا فالوجود الرابط في حقيقته يباين الوجود المحمولى ، ولا جامع بينهما ، فان اطلاق الوجود على الرابط من باب المسامحة والمجاز ، أو أنه لفظ مشترك بين المعنيين ، أي بين الوجود بمعناه المعروف الذي ينتزع منه انه موجود وثابت ، وهو الذي بمعنى التحقق وكون الشيء ذات حقيقة ثابتة ، وبين الوجود بالمعنى الرابط الذي كما قلنا لا ينتزع منه أنه ثابت وموجود ، بل هو نفس ثبوت شيء لشيء ، نفس تعلق شيء بشيء وارتباطه به ، ولذلك عبّرنا فيما سبق عن الوجود الرابطي بانه الثابت لغيره .

ولو كان ثبوت شيء الذي هو معنى الوجود الرابط يستدعي ان يقال له انه ثابت لغيره ، فهذا يحتاج الى ربط بينه وبين الغير الثابت له ، وننقل الكلام الى هذا الربط الآخر ، وهو أيضا يستدعي ان يكون ثابتاً للغير فيحتاج الى ربط ثالث ، وهكذا ، فيذهب الى غير النهاية .

والحاصل ان معنى الوجود الرابط هو وجود هذه النسبة المحضة ، ومحض التعلق والنسبة لا تكون منسوبة ، والا لكانت لها نسبة اخرى فيتسلسل الى غير النهاية ، نعم

لو التفت اليه الذهن على انه معنى الثبوت والوجود ، فانه في حال التفات الذهن اليه وملاحظته يخرج عن كونه رابطاً ونسبة ، بل يكون معنى اسماً ووجوداً محمولياً ثابتاً ملحوظاً بالاستقلال ، وهذا حينئذٍ يحتاج الى ربط ، ولكن لا يلزم التسلسل المحال ، واللا نهائيه الممتنعة لان هذا الربط الثاني ككل ربط يجب ان يلاحظ بالاستقلال ويلتفت اليه بنفسه ، ولكن لو التفت اليه ولو حظ مستقلاً بمحض الاختيار ، فانه ينقلب ايضاً معنى اسماً يحتاج الى رابط ... وهكذا ولكن هذا ليس بالتسلسل المستحيل ، لان هذه اللانهاية الحاصلة في تضاعيف لحظات الفكر وخطرات الوهم تنقطع بانقطاع الملاحظة ، ولا يجب استمرار هذه اللحظات والخطرات حتى تذهب الى غير النهاية .

وهذا الاصل في اللانهاية للفرقة بين ماهو مستحيل وما هو غير مستحيل يجب ان يبقى في ذهنك تنتفع به في موضع آخر .
ولاجل هذا السر الذي ذكرناه في الوجود الرابط ، قلنا في كتاب اصول الفقه : إن المعاني الحرفية مبانية في حقيقتها وسنخها للمعاني الاسمية ، وان وجود الروابط والنسب في حد ذاته متعلق بالغير ، ولا حقيقة له الا التعلق بالطرفين ، واستنتاجنا من ذلك ان وضع الحروف غير وضع الأسماء .

الدّرس الخامس عشر

مواد القضايا وجهاتها

من المعاني التي ترتسم في الذهن ارتساماً اولياً فطرياً معنى الضرورة واللا ضرورة فان الانسان لا يتصور بعد مفهوم الوجود والشيء مفهوما اقدم وواضح من معنى الضرورة ، ولذلك يكون مثل هذا غنياً عن البيان والتعريف .
اذا عرفت هذا ، فاذا نظرنا الى حال الاشياء وقسناها الى ما ينسب اليها ، فلا يخلو

﴿ السنة الثانية ﴾ تقسيم الوجود الى المحمولي والرابط ٣٩

واقعها من احدى حالات ثلاث : ضرورة الثبوت ، أو ضرورة العدم ، أو لاضرورة الثبوت والعدم ، هذا واقع كل قضية ، بحيث انها لاتخرج عن احدى هذه الحالات ، ولذلك تسمى مواد القضايا ، سواء لاحظها من يحكم بالقضية ام لم يلاحظها ، وسواء عبّر عنها بكلام أم لم يعبر عنها .

اما اذا لاحظها في حكم وعبّر عنها بكيفية من كيفياتها ، فان القضية حينئذ تسمى (موجهة) والتعبير عن تلك القضية او ملاحظتها يسمى (جهة القضية) هذا بالقياس الى كل محمول ينسب الى موضوعه ، وبالاخصيص الوجود اذا نسب الى الماهية فواقعه لا يخلو ايضاً عن احدى هذه الحالات الثلاث ، ويختص الوجود باصطلاحات خاصة باعتبار هذه الحالات .

١- اذا كان الوجود ضرورياً سمي «واجب الوجود» .

٢- اذا كان العدم ضرورياً سمي «ممتنع الوجود» .

٣- اذا لم يكن الوجود ولا العدم ضرورياً سمي «ممكناً» .

واما احتمال كون الشيء ضروري الوجود والعدم ، فيرتفع بادنى التفات ، فالاقسام المتصورة ثلاثة . وعلى هذا فالوجوب هو ضرورة الوجود ، والامتناع هو ضرورة العدم ، والامكان سلب الضرورتين ، وهو المسمى «بالامكان الخاص» .

وانت في ملاحظتك للضرورة لك ان تلاحظ حال الماهية بالقياس الى الوجود كما وصفنا فيما تقدم ، فتقسم الشيء الى واجب الوجود ، وممتنع الوجود ، وممكن الوجود ، ولك مرة أخرى ان تلاحظ نفس الوجود ، فتقسمه الى واجب و ممتنع وممكن ، فتكون هذه الاحوال صفة لنفس الوجود بالذات لا للماهية .

وهذه الملاحظة الاخيرة هي الاصح ، وهي المطابقة للواقع التي ينتهي اليها البرهان ، ويكون حينئذ للوجوب والامتناع والامكان معنى آخر غير ما خرج اولاً من معنى التقسيم الاول ، فان الملاحظة الاولى انما هي لسهولة التعليم ، اذ ينظر فيها الى حال الماهيات الكلية بالقياس الى الوجود ، ويعد ما تبين بالبرهان ان واجب الوجود لا

ماهية له ، بل هو صرف الوجود ، لا بد ان ينظر في التقسيم الى حال الوجود نفسه ، وتبطل الملاحظة الاولى . أي انه لا واقع لها ، فيظهر حينئذ للوجوب معنى آخر . وهو تأكد الوجود وغناه ، اذ يكون صفة للوجود ، ولا معنى لان نفرض في الوجود انه ضروري الوجود وواجب الوجود ، ولذا قال ابن سينا - كما نقل عنه :- ان قولهم يجب وجوده تصحيف لقولهم بحث وجوده ، أو بحث الوجود» .

وكذلك يظهر للامكان معنى آخر ، هو نفس الفقر والحاجة ، ولا معنى لأن يفرض في الوجود ، انه مسلوب عنه ضرورة الوجود والعدم ، وكذلك الامتناع ، لا يكون معناه ضرورة عدم الماهية ، بل محض البطلان والاستحالة للوجود ، وسيأتي لهذا البيان زيادة توضيح ان شاء الله تعالى .

الدرس السادس عشر

الجهات اعتبارات ذهنية

سبق لك ان علمت ان كل حكم وكل وصف لا يخلو واقعه من ان يكون واجباً او ممكناً أو ممتنعاً ، وهذا التعبير ليس واضحاً بهذه البساطة ، لما دخلت عليه من الشبهات التي شغف بها المشككون في كل أمر واضح ، ولاجل ان تدفع عن نفسك تلك الشبهات لا بد من توضيح حقيقة هذه الجهات الثلاث ، تأمل في نفسك حينما تقول مثلاً: الانسان موجود فتلاحظ نسبة الوجود الى الانسان من جهة الضرورة فماذا تحكم عليه ؟

لاشك في انك تحكم بان الانسان ممكن الوجود ، وهذا الحكم تقتضيه فطرتك السليمة غير المشوبة بالشبهات . وتراه حكماً قطعياً واقعياً حقيقياً . ولكن هذا الحكم الجلي الواقعي قد تدخل فيه الشبهة حينما يأتيك المشكك فيقول لك : ان هذا الامكان الذي حكمت به على الانسان هل موجود خارجاً أو معدوم ؟ وكلاهما

﴿ السنة الثانية ﴾ تقسيم الوجود الى المحمولي والرابط ٤١

لا يصح ، ولا ثالث لهما لان النقيضان لا يرتفعان !!

فان قلت انه موجود فيقول لك المشكك : ان هذه صفة الامكان الثابتة - حسب
الفرض - هي كسائر الصفات والاحكام ، ولا يخلو واقعها من احدى الجهات الثلاث ،
ولاشك في أنها واجبة الثبوت ، اذ ان ثبوت الامكان للممكن ضروري ، والا لا تقلب
فصار واجبا أو ممتنعاً ، واذا كانت صفة الامكان واجبة الثبوت ، فهذا الثبوت ايضا
صفة ثابتة ، فننقل الكلام اليها ، وهي ايضا لا بد ان تكون على نحو الوجوب ، وإلا لزم
الانقلاب ، فننقل الكلام الى هذه الصفة صفة الوجوب الثانية ، وهكذا الى غير النهاية .
وان قلت : الامكان معدوم فيقول لك قولك الانسان ممكن الوجود حكم صحيح
صادق له واقع يحكي عنه ، ولو كان الامكان معدوماً فلا تكون له حقيقة ولا واقع ،
فعمّ يحكي هذا الخبر؟ اذ يكون اخباراً عن لاشيء - حسب الفرض - وبعبارة اخرى :
لو كان الامكان معدوماً لم يبق فرق بين نفي الامكان والامكان المنفي ، أي لم يبق فرق
بين (لا امكان) و (امكان لا) اذ لا تمايز بين الاعدام ، ولا شك ان الامكان صفة ثابتة
للانسان . وهكذا يقال في صفة الوجوب والامتناع ، فهل هذه الجهات موجودة أو
معدومة ؟ اذن فماذا تحدد في حل هذا التشكيك ؟

وانت اذا تفتّنت الى ما مرّ عليك من ابحاث ، فانك تستطيع بكل سهولة أن تحل
هذه المغالطة ، بان تقول للمشكك : ماذا تقصد من الامكان الذي تحكم عليه بانه
موجود أو معدوم ؟ فان الامكان قد يقصد منه الوجود الرابط ، وهو حقيقة الامكان
ومعنون هذا العنوان الذي هو من احوال النسبة ، وقد يقصد منه الوجود الرابطي الذي
عنوان الامكان ، وهو المفهوم الذي ينتزعه الذهن ويلاحظه معنى مستقلاً ، فتصف به
الشيء وتحكم عليه اذ تقول : «الانسان ممكن» أو «الوجود ممكن» .

فان اردت من الممكن الوجود الرابط وما هو نسبة قائمة بطرفين ، فقد عرفت
تحقيق حال الوجود الرابط وانه لا يتصف بانه موجود ولا ينتزع منه انه ثابت ، وبتبع
ذلك لا يتصف بانه معدوم ، لانه لا يلزم من كونه غير متصف بأنه موجود ان يتصف بانه

معدوم. وهذا ليس من العجيب، ولا يكون هذا من باب ارتفاع النقيضين، واعتبر ذلك في العدم فانه لا يتصف بانه موجود، ولكن لا يلزم منه ان يتصف بانه معدوم أي منفي ولو اتصف العدم بانه معدوم ومنفي، فان سلب السلب ايجاب، فيلزم ان يكون نقيضه أي سلب العدم وهو الوجود متحققاً.

وعلى كل حال فنحن نقول: ان الوجود الرابط في الاعيان، ولا نعني انه شىء من الاشياء حتى يتصف بانه موجود، فلا يصح التردد فيه بانه اما موجود واما معدوم، بل هو لا موجود ولا معدوم، لانه سنخ حقيقة ليست قابلة لهذا التوصيف، كما قلنا في العدم وانه لا يلزم ارتفاع النقيضين.

وفي العدم تكرر نفس هذه الشبهة، فيقال: ان كان ثابتاً فيلزم ان يكون العدم موجوداً فيتصف بنقيضه، واذا كان منفياً فسلب السلب ايجاب، فيلزم ان يكون نقيضه وهو الوجود متحققاً.

والجواب: ان حقيقة العدم ماهو بالحمل الشايح، ويكون عدما رابطا لا يوصف بانه موجود، كما لا يوصف بانه معدوم، وكذلك يقال في الوجود الرابط.

والحاصل انه لا فرق بين عدم لا ولا عدم فاذا قلنا بان (العدم لا) يلزم منه ألا يكون عدم، وكذلك الامكان الذي هو نسبة ووجود رابط فانه (امكان لا) أي لا يتصف بانه موجود في الخارج، ويلزم منه ان لا يكون امكان.

وان اردت من الامكان الوجود الرابطي ما يحمل على الشىء كقولك: الانسان ممكن، فهذا امر انتزاعي يخترعه الذهن للتعبير عما هو حقيقة الامكان، فهذا مفهوم استقلالي لا وجود له الا في الذهن، فنحن نخترانه موجود في الذهن فقط، ولا يلزم من كونه موجوداً في الذهن التسلسل المحال، بل التسلسل اللازم انما هو بمعنى (لا يقف)، ولكنه ينقطع بانقطاع اعتبار الذهن وملاحظته على ما مرّ تفصيلاً.

والحاصل ان توصيف الشىء بالامكان لا بد ان يكون له احدى الحالات الثلاث في الواقع، ولكن لا يجب ملاحظة تلك الحال على نحو الاستقلال حتى يجب ان

﴿ السنة الثانية ﴾ تقسيم الوجود الى المحمولى والرابط ٤٣

يكون له ايضاً نسبة اخرى ، ولكن اذا لاحظناه معنى مستقلاً منظوراً اليه بالذات كان له نسبة ، وكان لابد ان تكون في الواقع هي الوجود أو الامكان أو الامتناع ... وهكذا على ما شرحناه في باب الوجود الرابط .

النتيجة :

فحصل من جميع ما ذكرناه ان الجهات الثلاث هي موجودات ذهنية واعتبارات عقلية ، لانها مما يعتبرها العقل حالة للماهية او الوجود ، هذه الاعتبارات الذهنية هي عناوين حاكية عما هو حالة في النسبة ، فواقعها ومعنوياتها وحقائقها من نحو الوجود الرابط ، فمعنوياتها في الاعيان ، ولكن ليس معنى انها في الاعيان انه ينتزع منها انها موجودة في الاعيان .

ولهذا اشتهر عندهم ان النسبة يكون الخارج طرفاً لها لا لوجودها كسائر الاشياء الموجودة .

السنة الثالثة

﴿ مباحث العلة والمعلول ﴾

- تمهيد
- القول بالصدفة
- السببية الطبيعية
- التسلسل في العلل
- برهان التطبيق
- والخلاصة
- البرهان على استحالة التسلسل

السنة الثالثة :

مباحث العلة والمعلول

تمهيد :

من اهم المباحث الفلسفية الالهية التي يركز عليها اثبات الصانع وما اليه هي مباحث العلة والمعلول ، فلذلك آثرنا الاستعجال بالبحث عنها لتقريب الغاية التي نحن بصدددها .

والعلية من المفاهيم البديهية الاولية المستغنية عن التعريف ، وليس الغرض من تعريفها الا التنبيه على المعنى المقصود منها ، ولفت النظر اليه ، بتبديل لفظ مكان لفظ آخر .

والظاهران العلية لها معنيان أو قفل - على الأصح - ان لها اطلاقين واستعمالين لا انها لفظ مشترك .

والاول من الاستعمالين اطلاقها وارادة التأثير في الوجود على وجه اذا وجدت العلة وجب وجود المعلول ، ويستحيل التخلف عنها ، وان انعدمت انعدم المعلول . ولايبعد ان اطلاق كلمة السببية على هذا المعنى اوضح من كلمة العلية . وعلى كل حال فاننا من الآن فصاعداً نريد من كلمة العلية هذا المعنى مالم ننص على خلافه .

والثاني من الاستعمالين اطلاقها وارادة مطلق التوقف في الوجود على وجه اذا انعدمت العلة لابدان ينعدم المعلول ، وأعم مما كان وجود المعلول يجب بوجود العلة أو لايجب .

وبهذا المعنى تنقسم الى علة تامة وعلة ناقصة ، والعلة الناقصة الى علة صورية ومادية وغائية وفاعلية . وسيأتي بيان هذه المصطلحات والمصطلحات الاخرى كالمقتضي والمانع والشرط والمُعدّ .

وفي العلة وقعت ابحاث فلسفية كثيرة ونحن نقتصر على اهمها في مباحث :

١ - القول بالصدفة :

من أهون ماخلفت لنا القرون البعيدة أو هام بعض السوفسطائيين اليونانيين في قولهم بالصدفة والاتفاق ، كما ينسب ذلك الى «ذيموقراطيس» ، فزعموا ان العالم وجد بالصدفة والاتفاق ، أي بلاعلة وسبب . أي انهم ينكرون لزوم السببية بين الاشياء .

اي انهم يجوّزون ان يوجد الممكن من غير علة توجب وجوده . وينسّق على هذا القول قول من جوّز الترجيح بلا مرجح ، بل قول من جوّز الترجيح بلا مرجح كما ينسب هذا القول الأخير الى الاشاعرة .

ولكن نفس انكار السببية من القائلين بالصدفة ودليلهم عليه ينطوي على الاعتراف العميق في عقلهم الواعي بالسببية واللابدّية من حيث يشعرون أولا يشعرون كما سنوضحه ان شاء الله تعالى .

ونحن نقول لهم قبل البحث عن دليلهم : إن الانسان بفطرته يدرك وبديهة عقله يعرف ان لكل ممكن سبباً ، وان الممكن بحاجة في حقيقة ذاته الى من يمدّه بالوجود ويوجب وجوده ، وكما سبق بيانه ، فان حقيقة الامكان هو سلب الضرورة عن طرفي الوجود والعدم ، لا اقتضاء في حدّ ذاته للوجود ولا اقتضاء في حدّ ذاته للعدم ، فاذا فرض وجوده فلا بد ان يفرض سبق علة لوجوده ، لانه يستحيل ان ينبثق وجوده من نفس ذاته ، والمفروض انه ممكن لا اقتضاء في ذاته للوجود ، والا فما فرضناه ممكناً لا يكون ممكناً بل واجباً ، فلا بد من فرض شىء خارج عن ذاته يقتضي وجوده وهو

العلة .

وبعبارة أخصر إن قُرِض الامكان في شىء قُرِض فيه الحاجة والفقر . والفقر الذي في حد ذاته الفقر والحاجة لا يكون غنياً بذاته ، فانه خلف محال فلا بد ان يكون غناه بغيره .

هذا ما تدركه فطرة العقول من اولياتها البديهية ، فنفس تصوّر معنى الامكان في الممكن كافٍ للحكم بحاجته الى العلة في وجوده ، كتصور معنى الكل والجزء ، فانه بنفسه يقتضي الحكم بان الحل اعظم من الجزء بلا حاجة الى فرض شىء آخر و معنى آخر .

وهذه البديهة العقلية متحكّمة في مصير الانسان وفي كل شىء من حياته وتفكيره ، ولولاها لما عاش هذه القرون الطويلة يفكر ويعمل ويسعى ويكدّ ويكتشف ويؤلف ويختزن علومه و معارفه للآخرين ، فانه لولا ادراكه الفطري بأن لكل شىء ممكن سبباً لوجوده وكل شىء ممكن فقير ومحتاج بنفس ذاته الى علة توجده ، فان اعمالها كلها كانت باطلة وضرباً من العبث واللغو ، ولترك الامور للصدفة تعمل عملها فيها ، ولما تحمّل المشاقّ والانتعاب في سبيل تحصيل غاياته ، وكل الابحاث العلميّة تبثني في حقيقتها على الشعور العميق المرتكز في النفس بضرورة حاجة الاشياء الممكنة الى العلة . وكل الاكتشافات ترتكن في جوهرها على العثور بالبحث على السبب الحقيقي لظاهرة كونية ، ويصرّح القول نقول : ان هنا بديهتين أوليتين يدركهما كل انسان حتى الطفل . وهما :

اولاً : ان كل ممكن لا بد له من علة توجهه ، أي يستحيل وجود الشىء الممكن بلا علة .

ثانياً : انه اذا وجدت العلة لا بد ان يوجد المعلول ، أي يستحيل تخلف المعلول عن العلة .

ومن ينكرهاتين البديهتين فانما ينكر اولى البديهيات العقلية ، ومنكر البديهيات

سوفسطائي يضيق معه الكلام والبحث كمن ينكر شعوره ووجدانه ووجوده .
ولأجل ان نتعمق في البحث ننقل بعض المقالات القديمة والحديثة في الموضوع
ونكتفى بنقل مقالتي قديمة وحديثة :

الاولى : المقالة المنسوبة الى ذيمو قراطيس اليوناني ، فقد قيل : انه زعم أن وجود
العالم انما كان بالاتفاق والصدفة ، لانه فرض ان مبادئ العالم اجرام صغار لا تتجزأ
لصلابتها ، وهي مبنوثة في خلاً غير متناهٍ وهي متشاكله الطباع مختلفة الاشكال دائمة
الحركة ، فاتفق ان تصادفت جملة منها واجتمعت على هيئة مخصوصة وتكوّن العالم
منها .

ونحن نقول له : ان فرض هذا في جوهره ينطوي على الاعتراف بان للعالم علة ،
وهي هذه الاجرام الصغار التي فرضتها لا تتجزأ وانها تصادمت واجتمعت على هيئة
مخصوصة .

ونقول له : انه اذا كان - كما تخيلت - يجوز أن يقع الحادث الممكن بلا علة ،
بالمصادفة والاتفاق وهو تصادم هذه الاجرام واجتماعها على هيئة مخصوصة ، فلم
لا نفرض من اول الامر وتستريح ان العالم قد وجد بالمصادفة والاتفاق بلا مصادمة من
هذه الاجرام واجتماع لها ، لانه اذا جاز تصادم هذه الاجزاء المفروضة واجتماعها
على هيئة مخصوصة بلا علة توجب هذا التصادم والاجتماع ، فلم لا يجوز ان يتكون
العالم بالصدفة بلا علة توجبه حتى من الاجرام الصغار ؟

ان شعوره العميق غير الواعي بالبديهة العقلية التي لا يمكن ان يتخلص منها ، وهو
صورة حاجة الممكن الى العلة هو الذي فرض وحتم عليه وهو لا يشعر ، بان يفترض
الاجرام الصغار في مبادئ العالم ، أي حتم عليه ان يفرض ان للعالم مبدأ أي علة ،
فناقض الرجل نفسه بنفسه من حيث لا يشعر ، واعترف مقهوراً بما يريد ان ينكره من
الحاجة الى العلة ، فانكره بلسانه واعترف به في اعماق نفسه . وبعد هذا البيان ننقل
معه الى الكلام على هذه الاجرام الصغار المفروضة فنقول له : من الذي أوجدها ؟

وما هو مبدؤها؟ فان كانت ممكنة في حد ذاتها كالعالم الذي فرضته قد تكوّن من تصادمها واجتماعها على هيئة مخصوصة ، فلا بد ان يكون سبيلها سبيل العالم في وجوب فرض مبدأ يقوّمها ويكوّننها وقد نشأت منه ، فما هو ذلك المبدأ؟ ولا بد ان نفرض شيئاً آخر وراءها قد اوجدها ، وليس هو الا واجب الوجود أو ما ينتهي اليه ، وهذا ما يريدان ينكره هذا القائل ، ونحن نريد أن نثبتته .

فان كانت هذه الاجرام في حد ذاتها واجبة الوجود مستغنية عن العلة والمؤثر فقد فرضت - اذن - ان مبدأ العالم واجب الوجود ، وهو نفس مطلوبنا الذي تريد أن تنكره ، غاية الامر أن الفرق بيننا وبينك : انك تزعم ان مبدأ العالم لا شعور له ولا اختيار ونحن نقول : ان مبدأ العالم لا بد ان يكون مختاراً مريداً عالماً ، وسيأتي ما يثبت ان نفس قانون السببية النافي للاتفاق والصدفة قد ينفي ان يكون مبدأ العالم متجرداً عن الاختيار والعلم ، يعنى ان نفس قانون السببية يقضى بثبوت العلم والاختيار والقدرة لمبدأ العلم وسببه الاول ، اعنى واجب الوجود .

على ان نفس فرض الاجرام الصغار التي لا تتجزأ لصلابتها ، قد ثبت فلسفياً وعلمياً أنه فرض مستحيل وباطل لا واقع له . لاسيما بعد اكتشاف تفجير نواة الذرة وتحولها الى طاقة فتتلاشى ، ولكن هذا أمر آخر لسنا الآن بصددده .

الثانية : المقالة التي اشتهرت في اوروبا في اخريات القرن التاسع عشر الميلادي ، فان ذلك الوهم اليوناني القديم الذي اكل الدهر عليه وشرب وهزأ به العلم في جميع ادواره فصار اضحوكة العلماء قد بدأ في هذا العصر الحديث يحبره افراد مرة أخرى بثوب آخر يناسب التعبيرات الحديثة ، فسمّوا الاجرام الصغيرة (ذرات) وقالوا : ان مبدأ العالم هي هذه الذرات غير المتناهية في الفضاء اللامتناهي ، فأصل العالم عندهم هي المادة اذا اصطدم بعضها ببعض فتكونت منها هذه الاجرام السماوية الهائلة المنبثة في الفضاء .

وفرضوا مثلاً في وجود الارض والكواكب السيارة حول الشمس ان كتلة هائلة في

كبرها كانت تائهة على غير هدى في الفضاء ، فاقتربت بالمصادفة من الشمس قبل ملايين السنين ، ولاندري أي سنين هي قبل حدوث السنة الارضية ؟ ومن جهة حدوث قوة هائلة من الجذب الواقع على قرص الشمس انفجرت تلك الكتلة التائهة فتناثرت أشلاؤها في الفضاء مثلما تنثائر قطرات الماء في قمة الموجة ، ومن ذلك الحين الملاييني ظلت هذه الكتل المتناثرة تدور حول الشمس بقوة الجذب ، وبالتدريج بردت هذه الكتل التي منها ارضنا ، وبعد مدة طويلة اثبتت بقدره غير قدير منها الحياة الى ان ترقّت فيها الحياة فكانت هذه الاحياء العجيبة ، وكان هذا الانسان العجيب .

ومن العجيب ان هذا الخيال الشعري الهائل يدخل في مناهج التعليم في المدارس الحديثة ويسمونه - ظلماً وعدواناً - ثقافة وعلماً ، والأعجب ان يتخذوه عقيدة علمية ثم يؤكدون ان هذا الحادث النادر الوقوع الذي حدث للارض والكواكب السيارة الاخرى كان نتيجة حتمية - للمصادفة - ويقولون : لا ينبغي ان تثير كلمة المصادفة الدهشة عند المفكرين لانها جائزة الوقوع .

ونقل عن رجل يدعى (هكسلي) انه قرّب الى المفكرين لثلاً يندهشوا هذه المصادفة النادرة الوقوع بقوله :

لو فرضنا وجود ستة فرود تقوم بالطبع غير المعين على ستة آلات كاتبة ، واشتغلت بالضرب على هذه الآلات على غير هدى ملايين ملايين السنين ، فانه لا بد أن يأتي زمن تكون فيه هذه القروود قد أتت على طبع جميع الكتب الموجودة في المتحف البريطاني مثلاً .

وبدلاً من ان يثير هذا الخيال الشعري وهذه الفروض الوهمية السخرية والاستهزاء من المفكرين ، نجدان ارباب الثقافة الاوربية يعتبرون هذه المصادفة النادرة حقيقة واقعة لانها جائزة الوقوع فقط .

وفي الحقيقة ان هذا الخيال هو اجترا لقول ذيمو قراطيس بتعبير آخر أرق منه

خيالاً وقد قلنا : ان هذه المقالة تنطوي في جوهرها على الاعتراف بالسببية وما فيها من وجود الممكنات ، وفرض هكسلي القردة الستة وضربها على الآلات الستة ملايين السنين حتى تأتي على مجموعة الكتب الموجودة في المتحف البريطاني ، هو فرض للعلة الموجبة لحدوث تلك الكتب ، ولكنها علة غير مفكرة وغير شاعرة .
وإذا اعترف الخصم بلا بدئية السببية في حدوث الكائن الممكن ، فلا بد أن تنتهي معه الى الاعتراف بواجب الوجود لذاته ، لان الشمس حادث ممكن والذرة حادث ممكن ، والكتل الفضائية حادث ممكن ، وقوانين الكون حوادث ممكنة ، وكلها لا بد ان تنتهي الى سبب مستغن عن كل سبب .

وإذا انتهينا الى القول بسبب مستغن عن كل سبب ، فقد وقفنا على نقطة الانطلاق الى الاعتقاد بخصائص هذا السبب المستغني عن كل سبب وهو واجب الوجود ، لأن نفس فرض واجب الوجود أو السبب المستغني عن كل سبب يستدعي فرض كماله وتنزهه عن كل نقص في الوجود ، فلا بد ان يكون كامل العلم وكامل الاختيار ، والا لما كان واجب الوجود ، بل كان محتاجاً فقيراً الى غيره ، وهو خلاف الفرض ، انه خلف محال .

والمقصود بيانه مع هؤلاء الخصوم هو ان نفس هذه الفروض التي يفترضونها لتقريب المصادفة هي نفسها تتضمن الاعتراف بلا بدية السببية ، فهي تنفي دعواهم بنفسها ، ونفس قولهم : هذا نتيجة حتمية للمصادفة هو اعتراف صريح بحتمية السببية وان شاؤا ان يسموها مصادفة فهي لقلقة لسان فقط ، لا تصلح لاثبات مدعاهم ، قلنا : اذا اعترفوا بحتمية السببية فلا بد أن يعترفوا بحتمية واجب الوجود الذي يتحتم ان يتصف بكل كمال مطلق ، والا لما كان ما فرضناه واجب الوجود واجب الوجود ، وهذا ما يبطل المصادفة باي معنى فرض للمصادفة حتى اذا كانت بمعنى فقدان العلم والاختيار .

ونقول لهذا الرجل (هكسلي) الذي يدعي العلم : انه لو فرض انه جاز لقروود ستة

ان تعيش ملايين ملايين السنين بقدره غير قدير تعمل ليل نهار عملها غير المنظم ، وفرض انه جاز لآلات كاتبة ان تعمل بقدره غير قدير ملايين السنين ، ولا يصيبها العطل وفرض ان لها من الورق ما يملاء السماوات والارض ، لو فرض كل هذه الاحتمالات أفلا يجوز - وهو من جملة الاحتمالات - في هذا القرده وآلاتها ان تضرب على حرف واحد فقط من الحروف التي في الآلات ، فانه لا يخرج من ضربها على حرف واحد إلا صحف مكتوبة بحرف واحد ، فكيف تقدر انه لا بد ان ياتي زمن تكون فيه هذه القروود قد أتت على طبع جميع كتب المتحف البريطاني ؟

وكذلك نقول في الاحتمالات التي يتكون منها الكون ، فمن أين يتبين حتمية صدور هذا الكون العظيم الدقيق في قوانينه من الصدفة النائية ؟ الا اذا صدرت جميع الاحتمالات ومن الذي يضمن صدور كل الاحتمالات حتى يتكون الكون من احد هذه الاحتمالات ؟

ان فرض وقوع جميع الاحتمالات حتى يقع الاحتمال الذي يتكون منه الكون أو مكتبة المتحف البريطاني مثلاً ليس فرضاً حتمياً من دون علة توجهه ، لجواز ان لا يتكرر الا احتمال واحد أو احتمالان مثلاً كما قلنا ، ومن يضمن لها ان تطبع على جميع الحروف بلا ترتيب ولا تشويش وتكرر طبعها على جميع الحروف غير مرتبة ولا مشوشة ؟ ومن يضمن لها من دون قوة مدبرة حتى لطبعها على جميع الحروف بلا ترتيب ولا تنظيم لتستوفي جميع الاحتمالات ؟ وعلى كل حال ، فانه لا يثير الدهشة ان يكون للكون سبب جائز الوقوع من قبيل ما احتملوه من مصادمة كوكب تائه للشمس ، لانا لا بدان نقول : ان الشيءء مالم يكن جائز الوقوع أي ممكناً فانه يستحيل ان يقع ، ومع ذلك نقول ايضاً : ان الممكن الذي هو احتمال في جنب ملايين ملايين الاحتمالات الاخرى لا يمكن ان يقع بالخصوص ويتعين من بين باقي الاحتمالات بغير سبب يعينه ويحتمه ، اما ان يعينه نفس احتماله وجواز وقوعه فهو السفسطة بعينها التي تصادم اوضح البديهيات الاولية ، اذ احتمال السبب لا ينبغي ان يسمى

اكثر من ذلك ولكنه احتمال من ملايين ملايين الاحتمالات التي ينقطع معها النفس في تعداد الملايين فيها ، وسيبقى كذلك لا يخرج عن دائرة الاحتمال مادام الدهر الا اذا قدّر لنا ان نرجع القهقري الى الوراء الى ما قبل ملايين ملايين السنين - كما يقدرّون - لنشاهد بأعيننا تلك الكتلة النائية في الفضاء تصطدم بالشمس وتتناثر ، ولو فرض اننا شاهدنا ذلك ، فانه مع ذلك لا يصح ان ندعي انه وقع هذا الاحتمال من بين ملايين ملايين الاحتمالات بالصدفة ، لان كل شيء لا بد له من سبب يرجع اليه ، فما الذي جعل هذا الكتلة تتيه في الفضاء حتى تصطدم بالشمس فيقع هذا الاحتمال بالخصوص من بين سائر الاحتمالات المليونية ، ألأنه جائز الوقوع فقط ؟ هكذا دواليك نقول وننقل الكلام الى أسباب هذه الحادثة واسباب اسبابها الى غير النهاية حتى تنتهي الى فاعل مختار وغني بذاته ؟

ولاجل ان نوضح مسألة الاحتمالات المليونية الهائلة التي تفرض في جنب الاحتمال الذي قدر وقوعه ، وجعلوه علماً وثقافة في تفسير تكوين الكون المادي ، نرجع لحساب هذا الرجل الذي يدعى (هكسلي) في فرضه للقروود وآلاتها الكاتبة نقول له : لو فرض ان هذه القروود الستة تستطيع بقدره غير قديران تؤلف مقاطع من كلمات كل واحد منها مؤلف من عشرة حروف فقط مع التبادل بين تلك الحروف ، نفرض ايضاً تنازلاً مناله انها لا تكرر الحرف الواحد للمقطع الواحد اكثر من مرة الى عشر مرات ، فانها حينئذ تكون على الاقل عدد المقاطع الحاصلة من طبعها غير المعين (بمقتضى نظرية التبادل في علم الجبر) يبلغ عشرة مضروباً في نفسه عشر مرات ، أي ١٠ فيكون حاصل الضرب يساوي واحد متبوعاً على يمينه باصفار عشرة يعنى عشرة آلاف مليون مقطع .

ثم اذا فرضنا ايضاً انها تطبع بقدره غير قدير صفحات كل واحد منها مؤلفة من ١٠ مقاطع لا اكثر مع التبادل بين تلك المقاطع عشرة البلايين ، مع فرض انها قد تكرر المقطع الواحد في الصفحة الواحدة اكثر من مرة الى عشر مرات ، فيكون حاصل

الضرب يساوي واحد متبوعا على يمينه بمائة صفر.

ثم لو فرض انها تؤلف بين هذه الملايين الهائلة من الصفحات بقدره غير تقدير كتباً ذات عشر صفحات فقط متبادلة في تلك الصفحات الهائلة ، فانه يحتاج الى ان نضرب تلك الملايين أي الواحد متبوعا بمائة صفر في نفسها عشر مرات ، فيكون حاصل الضرب يساوي واحد متبوعا على يمينه بألف صفر، هذه عشرة حروف في فرضنا لمقاطع مؤلفة من عشرة حروف في صفحات كل منها مؤلف من عشرة مقاطع لكتب كل منها مؤلف من عشر صفحات ، فيكف اذا كانت حروف المطبعة بعدد الحروف الهجائية على انواع ثلاثة : اولى ووسطى وأخيرة ، والمقاطع تؤلف من حرفين فاكثر الى ماشاء الله من الحروف ، وكل واحدة من الصفحات مؤلفة من عدد من المقاطع يزيد وينقص الى غير حدود ، وأريد تأليف كتب من الصفحات مختلفة في حجمها من الصفحتين فاكثر الى عدد غير محدود ايضاً . ان الكتب المحتملة حينئذ ستبلغ عددا هائلاً قد يحتاج الى اصفار مرصوفة على يمين الواحد تستمر الى عدة اميال ، واذا ادخلنا حساب تبادل الزمن لتأليف هذه الكتب وحساب تبادل المؤلفين لنعثر على قصيدة للمتنبي مثلاً أو على كتاب لمؤلف من المؤلفين ، فان هذا الحساب الهائل الذي يفوق حد التصور سيحتاج الى اصفار مرصوفة الى يمين الواحد قد تستمر الى اكثر من محيط الارض .

ان هذا الفرض الذي يؤيده (هكسلي) من وقوع الكتب الموجودة في المتحف البريطاني مصادفة من عمل القردة (الكاتبين الكرام) ، انه لفرض ضئيل بل أحقر من كل ضئيل في جنب ذلك العدد المدهش من الاصفار التي تزيد على محيط الارض آلاف المرات بل ملايين المرات .

واذا جارينا وأردنا ان نفرض كتب المتحف مجموعة منظمة بقدره غير تقدير كما هي موجودة الآن في المتحف ، فان هذه المصادفة المجنونة تحتاج الى عملية اخرى من التبادل قد يحتاج حاصل ضربها الى ان تزحف الاصفار امام الواحد من الارض

الى القمر، (تبارك الله احسن الخالقين).

ان احتمال ان يقع هذا العمل بالمصادفة تائهاً وحده كاحتمال ان يصطدم الكوكب التائه بالشمس ، فينتج الارض ، ثم ينتج الاحياء الموجودة على الارض ، يبدو بعد ما قدمناه اسخف من السخيف ، وان كان جائز الوقوع ، بمعنى امكانه الذاتي ، لانه لو كان مستحيلا لما وقع ، وقد وقع المتحف البريطاني بالفعل ، وقد وجدت الارض واحياؤها وقوانينها المنظمة بالفعل ، ولكنه انما وقعت هذه الاشياء وامثالها بعلتها المدبرة العاقلة الواعية ، ولولاها فليست بجائزة الوقوع أبداً ، أي انها ممتنعة بالغير ، وقد تقدم تفسير الممتنع .

وبعد هذا نقول مما شاة لهكسلى : لو سلمنا انه وقع من هذه القروء العجيبة مثل تلك العملية العظيمة بان تكتب كل تلك المجاميع التي تكبر محيط الارض ملايين المرات ، لخصوص كتب المتحف البريطاني ، فانها طبعا ستكون عملية هذه القروء علة لوقوع تلك المجاميع التي من بينها المتحف ، وحينئذ لم يقع المتحف بالمصادفة بل بعلته ، ولكنها علة حسب فرض هذا القائل غير مختارة ولا عالمة ولا مدبرة .

فاذن تصدر كتب المتحف عن شعور وعلم ، وعليه فليست هي نفس كتب المتحف الموجودة فعلاً ، لان هذه صدرت عن شعور وعلم من قبل مؤلفيها . والنتيجة ان ما هو واقع فعلاً لا يدخل في جملة احتمالات عملية القروء التائهة ، ونحن يجب ان نتكلم عن هذا المتحف الصادرة كتبه عن ارادة وشعور وعلم ، وهذا يستحيل ان يكون من نتاج عملية تلك القروء المفروضة .

وهكذا اذا تحدثنا عن الارض والحياة العجيبة عليها ، والتنظيم الدقيق والدقة القصوى في قوانينها التي تبلغ اقصى ما يمكن فرضه من تنظيم ودقة ، فانا نقول : إنها كتب الله التكوينية الناطقة بعظمة خالقها وقدرته وعلمه وارادته ، فيستحيل ان تكون نتاجاً لمجموع تلك الاحتمالات الهائلة لو فرض انها وقعت كلها ، فضلاً عن ان تكون نتيجة حتمية لمصادفة عمياء في احتمال تائه من احتمالات تبلغ ملايين ملايين الى

ان ينقطع النفس ولا ينقطع عددها (تبارك الله احسن الخالقين).

٢- السببية الطبيعية :

من الامور التي شغلت افكار المتكلمين من اقدم العصور الاسلامية حينما هجمت الفلسفة اليونانية على المحيط الاسلامي مسألة البحث عن السببية الطبيعية للاشياء ، فقد رأى الكثير من المتكلمين وعلى رأسهم الاشاعرة ان ينكروا السببية الطبيعية بين الاشياء ، باعتبار أنه لا سبب حقيقي الا الله تعالى ، ولا يتحقق شىء في الوجود الا بارادته وقدرته التي هي العلة التامة لكل موجود .

وما هذه السببية التي نشعر بها ويحكم بها وجداننا ، وتقضي بها بديهية عقولنا ، إلا سببية ظاهرية عادية مجعولة من الله تعالى بالجعل التأليفي بين ذات السبب وكونه سبباً ، وفي الحقيقة ليس هناك سبب حقيقي ولا علة ذاتية على نحو العلية بين الاشياء ، ومعنى ذلك انه تعالى جرت عادته في تقديره أن يوجد الاشياء ويخلقها عند ما يوجد اشياء اخرى نسميها بالاسباب ، لاننا نراها كذلك تترتب في وجودها ، والا فيمكن عقلاً ان يحصل السبب كالنار مثلاً مع توفر كل شروط الاحتراق ولا يحصل المسبب ، ويمكن عقلاً ان يحصل المسبب وهو الاحتراق مثلاً ، ولانار ولا سبب آخر الا ارادة الله تعالى .

وعليه فلا تكون الاسباب التي نسميها اسباباً إلا اسباباً عادية لا علاقة ذاتية بينها وبين مسبباتها التي نسميها بالمسببات ، ولا علاقة ذاتية بين الاشياء ، وكل القضايا الشرطية لا تكون الا من نوع القضايا الاتفاقية في واقع الامر .

ونحن ننقل لكم نص بعض عباراتهم للتأكد من صحة مقالتهم ، قال ابن روز بهان الاشعري في رده على العلامة الحلبي في مبحث الرؤية : «ان الاشياء عندهم - الاشاعرة - انما تحصل وتوجد بارادة الفاعل المختار وقدرته - اي الله تعالى - التي هي العلة التامة ، فلا يكون شىء واجبا عند حصول الاسباب الطبيعية ، ولا يكون شىء

مفقوداً بحسب الوجود عند فقدان الاسباب والشرائط ، ولكن جرت عادة الله تعالى في الموجودات ، ان الاشياء تحصل عند وجود شرائطها ، وتعدم عند انعدامها الى ان قال : بل جاز في العقل تحقق الشرائط وتختلف ذلك الشيء - أي المسبب - وجاز تحققه مع انتفاء الشرائط ، اذ لم يلزم منه محال عقلي .

وكان الذي دعاهم الى هذه المقالة ، أنهم تصورا أنه لو كان للاسباب تأثير حقيقي في المسببات للزم القول بان الله شركاء في الخلق بعدد الاسباب الطبيعية ، اذ تصوروا أن معنى التأثير الحقيقي للسبب ، انه يكون فاعلاً للوجود ، وخالقاً له ، فيلزم تعدد الخالقين بعدد الاسباب ، ويكون السبب شريكاً لله في الخلق ، وهذا ما ينافي عقيدة التوحيد ، بل هو من اقبح الشرك ، فانه ليس الفاعل الحقيقي الا الله ، ولا خالق سواه ، وان رحمته وسعت كل شيء ، ويستحيل ان يخرج مخلوق عن سلطانه .

ولعل مما دعاهم ايضاً الى هذه المقالة تصحيح المعجزات والكرامات للانبيا والاولياء ، ظناً منهم بان الاسباب الطبيعية لو كانت هي المؤثرة وأن لا بد منها في ايجاد المسببات ، وانه يستحيل تخلف المسبب عن سببه ، كيف صح وقوع المعجز كتسبيح الحصى ، وانشقاق القمر ، وحنين الجذع ، وصيرورة النار برداً وسلاماً على ابراهيم ، وبراء الاكمه والا برص ، وانقلاب العصا حية تسمى ، ورجوع الشمس ، ونحو ذلك من الاشياء ، ولا تمتنع اثبات وتصحيح هذه المعجزات ونحوها .

وقد رتبوا على هذا الاصل عدة امور ذهبوا اليها :

(منها) جواز رؤية الله يوم القيامة على ما روي عنهم من ان الله تعالى يُرى يوم القيامة كالقمر الطالع (راجع رسالة الرؤية للسيد شرف الدين) ، فانه - بناء على اصلهم المتقدم - لا يشترط عندهم في تحقق الرؤية ان تتحقق شروطها التي يسميها الناس شروطاً ، فيجوز أن يتجلى الله لمخلوقاته فتراه بعينها المجردة كما يرون الاجسام المنيرة ، وان كان هو تعالى منزها عن الجسمية وعوارضها ، ومنزها عن الجهة والتحيّز ، ولا مانع عقلي عندهم من ذلك . و(منها) القول بالجبر فان الله تعالى اذا كان

فاعلاً لجميع الأشياء ، فالعبد ليس الاموضعاً لفعل الله ، ولا يستحق ان يسمى فاعلاً بالمعنى الحقيقي ، إذ أن كل الموجودات هي من الله تعالى ، وهي افعاله ، وكل افعال العبد هي افعال الله تعالى ، كما قال تعالى في كتابه المجيد : «وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى» ، فلا سبب حقيقى الا الله تعالى ولا فاعل الا الله .

الى غير ذلك من الآراء التي تنشأ من مقالة انكار السببية الطبيعية بين الاشياء .
اقول : ان مقالة انكار السببية الطبيعية بين الاشياء لاتقصر عن مقالة انكار اصل السببية في انها مصادمة للبديهة العقلية ، فانا أشرنا فيما سبق الى ان الشعور بالسببية بين الاشياء ، واليقين بها ، هو المتحكم في مصير الانسان ، وفي كل شىء من حياته وتفكيره وقوانينه ، ولولا هذه السببية بين الاشياء و يقينه بها لامتنع عليه ان يستيقن باي شىء في الوجود ، وبأي نتيجة من نتائج الاعمال ، لانه اذا جاز عنده ان يتخلف المسبب عن سببه الطبيعي ، ويوجد المسبب بلا سبب طبيعي ، فانه مع هذا الاحتمال لا يبقى مجال عنده لليقين باي شىء في الوجود .

وهذه بعينها مقالة السوفسطائيين الذين يشكّون بكل شىء ، ولا يوقنون بأي موجود . والانسان الذي ينكر البديهيات الاولية ويتنكر لها ، فان العلم يعجز عن اقناعه ، بل لا ينبغي ان يعدّ من البشر ، لانه لا بد ان يبقى غير واثق ببشريته وانسانيته ، وبنفسه ، ولكن الانسان مهما بالغ في التشكيك في الاشياء ، لا يمكنه ان ينكر نفسه وذاته ، فلا يمكن ان ينكر شعوره ووجدانه ، والعلوم البديهية الاولية التي تحصل للانسان هي من وجدانياته بل هي من اوضح وجدانياته ، فكما لا يستطيع الانسان أن يشك في انه جائع أو عطشان أو خائف أو آمن أو مسرور أو حزين ، لا يستطيع ان يشك في انه عالم بهذه الامور البديهية ، ومع علمه بانه عالم بها كيف يفرض شكاً بها ؟ الا اذا كان مغالطاً لنفسه خائئاً لها .

ومن اجل هذا يعدّ من اوضح مواضع السفسطة الفكرية والمغالطة الذهنية أن يحاول الانسان ان يقنع نفسه ان تحصل له الرؤية بالعين الباصرة للشىء المجرد عن

﴿ السنة الثالثة ﴾ مباحث العلة والمعلول ٦١

الجسمية والحيز والجهة ، وما هو الاكمن يوهم نفسه انه يستطيع ان يرى القمر وهو فاقد للبصر ، ويعدّ ذلك جائزاً في العقول .

وكيف يجزم بان مثل هذا جائز الوقوع ، والجزم كسائر الممكنات لا بد له من علة توجبه ، واذا انكر لزوم تاثير العلة فمن أين ياتي هذا الجزم ولا مستند عنده ؟
واما قصة خلق الاعمال فلأجل كشف المغالطة التي وقعت للناس فيها فاننا نقول :
ان الفاعل فاعلان : فاعل ما منه الوجود وفاعل ما به الوجود .

١ - (الفاعل ما منه الوجود) هو الذي يفيض الوجود ويخلقه ، أي ما هو بذاته مفيد نور الوجود ومعطيه ومصدره ، وهذا منحصر في واجب الوجود الغني بوجوده عن كل ما سواه ، فلا يجوز ان ينسب الى غيره افاضة الوجود واعطاؤه وافادته ، والالكان ذلك الشيء شريكاً له في الخلق شريكاً له في سلطان الوجود ، والله تعالى مالك كل شيء ، مالك السموات والارض واليه ترجع الامور . ولذا نقول ان المفوضة الذين ينسبون التأثير الى الاسباب الطبيعية بمعنى ان منها وجود الممكنات ، هم في عداد المشركين ، بل قولهم اقبح كل شرك ، لانه تتعدد الشركاء عنده على عدد الاسباب الطبيعية في الوجود .

٢ - (الفاعل ما به الوجود) هو السبب الطبيعي المباشر لفعل الاشياء ، سواء كان سبباً ذا اختيار و ارادة كالانسان ، أو سبباً بالطبع لا اختيار له ولا ارادة ، كالنار في الاحراق مثلاً ، فان السبب الطبيعي والمباشر يكون واسطة في فيض الوجود من خالق الوجود ، فيمّر فيض الوجود منه الى غيره ، وهذا منحصر في غير الله تعالى ، لانه تعالى لصرافة وجوده ولتنزهه يستحيل فيه الاتحاد مع الممكنات ، ليكون مباشراً للحركات والافعال .

واذا عسر عليك تعقل هذا الامر فاعتبر ذلك لتمثيله في ذهنك بمرور فيض نور الشمس من المرآة مثلاً على شيء آخر ينعكس ضوءها عليه ، فان المباشر الى استنارة هذا الشيء هو المرآة ، ولكن في عين الوقت ، إن هذا التور المفاض هو نور

الشمس حقيقة بلا تجوز ولا تأويل ، لان نور المرآة ، اذ لا نور ذاتي لها لولا نور الشمس ، ولكن لولا المرآة لما اكتسب هذا الشيء النور من الشمس ، بل انما الذي انعكس عليه انما هو نور المرآة حقيقة ، لانها مستنيرة حقيقة ومضئية حقيقة ، غير ان نورها بنفسه هو نور الشمس بلا تجوز ولا تأويل .

فالمرآة بالنسبة الى استنارة هذا الشيء كفاعل ما به الوجود ، والشمس بالنسبة اليه كفاعل ما منه الوجود ، وكل منهما له التأثير الحقيقي في استنارة الشيء ، لكن جهة تأثير المرآة غير جهة تأثير الشمس ، وليس ذلك من باب اشتراك علتين مستقلتين في ايجاد شيء واحد أحدهما في عرض الآخر ، ولا من باب اشتراك علتين يكون مجموعهما علة واحدة للشيء يتعاونان على ايجاده ، بل شأن المرآة الإعداد للفيض ، وهي جهة تختص بها المرآة دون الشمس ، وشأن الشمس افاضة النور ، وهي جهة تختص بها الشمس دون المرآة . فلا يصح ان تعتبر الشمس معدة لافاضة النور ، لان النور منها ، ولا يصح أن نعتبر المرآة مفيضة للنور ، لانها ليس لذاتها نور مستقل غير مستفاد من الغير ، ومع ذلك هي مصدر نور ذلك الشيء ، ولولاها لما اكتسب هذا النور .

وهكذا يقال في نور الوجود المفاض على جميع الكائنات من الله تعالى ، فإنه الخالق لكل موجود ووجود ، ولكن افاضة النور على الاشياء الطبيعية الموجودة بواسطة اسبابها المباشرة لها التي تكون وسائط في الفيض ، وهي المعيدات لافاضة نور الوجود على معلولاتها .

ومن هنا قال أئمتنا (عليهم السلام) : «لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين» فان هذا هو الامر بين الامرين ، فإنه لو كان الله تعالى هو الفاعل ما منه الوجود وما به الوجود ، لكان الجبر ، ولبطل التكليف ، وبطل الثواب والعقاب ، ولو كان السبب الطبيعي هو الفاعل ما منه الوجود وما به الوجود ، لكان التفويض ، ولكان كل سبب شريكاً لله في الخلق ، ولكنه لا هذا ولا ذاك ، بل فاعل ما به الوجود هو السبب

الطبيعي ، ويستحيل ان ينسب الفعل من هذه الجهة الى الله تعالى ، بل الاشياء اذا طلبت بلسان استعدادها عند حصول اسبابها الطبيعية كاملة ان تدخل في نظام الوجود ، فان الله تعالى كريم عميم خيره ، ولا يبخل في ساحته ، فلا بد ان يفيض الوجود على هذه الاشياء الطالبة بلسان استعدادها للوجود أن يشملها برحمته التي وسعت كل شيء .

والحاصل ان السبب الطبيعي لما كان وجوده من الله تعالى ، وفي ذاته الفقر اليه والحاجة ، فيستحيل ان يكون مستقلاً في اليجاد ، أي خالقاً لوجود مسببه ، سواء كان مختاراً كالانسان أو غير مختار كالاسباب الطبيعية الفاعلة بالطبع ، والألكان خارجاً عن سلطان الله ، ولكان خالقاً في قبال الله تعالى ، فيكون شريكاً له في الخلق وهو محال ، ولما كان السبب الطبيعي مباشراً للفعل ومصدراً للوجود ، فانه يكون فاعلاً حقيقة ، ويستحيل ان يتصف الله تعالى بهذه الفاعلية أي مباشرة الافعال والاعمال ، والألكان متحداً مع الممكنات ومحدوداً بحدودها ، وهو لصرافة وجوده منزّه عن كل ذلك ، ولذا ترى ان الله تعالى خالق لوجود النوم فينا ، ولكن لا يصح ان نسميه نائماً ، وهكذا ، فان كونه خالقاً لوجود الاشياء والافعال لا يلزم منه ان يتصف بها اتصاف الفاعل المباشر لها ، وانما كما قال تعالى : « ما أصاب من مصيبة الا باذن الله » .

وبهذا يتضح كيف تنتفي شبهة الجبر في افعال الانسان ، فان الانسان هو الفاعل حقيقة لافعاله باختياره وارادته ، وهو المباشر لها ، وإذ تحصل الارادة من الانسان الموجبة لوجود المراد ، فان الله تعالى كما قلنا كريم لا يبخل في ساحته ، فيفيض الوجود على ذلك الفعل ، أي انه بارادة الانسان واختياره يدخل فعله في نظام الوجود ، فانه تعالى وان كان مريداً لفيض الوجود على ذلك الفعل ، لكنما يريد له حيث يصدر باختيار الانسان وإرادته ، فلا يوجب ذلك ان يسلب ارادة الانسان واختياره ، بل هو يؤكد اختيارية الانسان في افعاله وكونها مرادة له .

وشبهة الجبر انما تتحكم اذا لم نستطع التفرقة بين الفاعل ما منه الوجود وبين الفاعل ما به الوجود ، فاذا افهمنا من كون الله خالقاً لافعال الانسان ، انه الفاعل لها بجميع معنى الفاعلية ، حتى الفاعل بمعنى ما به الوجود ، فلاشك حينئذ يكون الانسان مسلوب الارادة والاختيار في فعله ، ولا قيمة لاختياره في جنب اختيار الله . وحينئذ يكون المجبرة على حق فيما ذهبوا اليه ، ولكن فهم هذا من فاعلية الله وخالفته للاشياء ناشيء من القصور عن فهم معنى الخلق ، فاختلط على هؤلاء معنى الفاعل بمعنى ما منه الوجود والفاعل ما به الوجود . وتخيّلوا ان انكار الجبر انكار لفاعلية الله ، فيؤول الى القول بالتفويض ، واخراج الله تعالى عن سلطانه ، ونسبة الخلق الى الاسباب الطبيعية ، فيتعدد الشركاء لله في الخلق بعدد الاسباب .

فالامر بين الامرين هو الحق الصريح في تفسير القضاء والقدر ، كما يقتضيه البرهان الصحيح ، ونطق به اهل بيت العصمة الذين لم يسبقهم الى التصريح به سابق ، وعجز فيه ذوو العقول ، وهذا من اعظم الادلة على امامتهم وبلوغهم الغاية في ادراك حقيقة الاشياء ، في عصر اعتصر فيه المسلمون الافكار الفلسفية وراموا التحليق بها الى فهم حقائق الدين والكون من دون الالتجاء الى ائمة الهدى ، فحصت اجنحتهم ووقعوا في هوة من الاوهام مهلكة ، بأن شرّق قوم فقالوا بالجبر ، وغرّب آخرون فقالوا بالتفويض .

ولانعدم من القرآن الكريم اشارة بل تصريحا بالامر بين الامرين كقوله تعالى : «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ...» وقوله تعالى : «ومن يؤمن بالله يهد قلبه ...» وقوله تعالى : «وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله» ولولا هذا المعنى من الامر بين الامرين لكان قوله تعالى : «وما اصابك من سيئة فمن نفسك» وقوله تعالى : «وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم» معارضا لقوله تعالى : «ما اصاب من مصيبة الا باذن الله» .

٣ - التسلسل في العِلل

سبق أن اشرنا في مناقشتنا للقائلين بالصدفة (في البحث الاول) الى ضرورة رجوع الممكنات في وجودها الى علة اولى واجبة الوجود، اليها تنتهي كل نهاية، لبداهة ان كل ممكن محتاج في وجوده الى العلة، فلا بد من الانتهاء الى علة مستغنية عن كل علة وهي واجب الوجود.

وهذه الطريقة في اثبات خالق الكائنات هي الطريقة التي تسمى بـ (البرهان الأثني)، أي الاستدلال بالمعلول على العلة، ويقابلها طريقة (البرهان اللمي) أي الاستدلال بنفس العلة التي سيأتي التعرض لها في اثبات خالق الكائنات في بحث مستقل، وهي طريق الصديقين وطريق الخواص من الالهيين. وطريقة البرهان الأثني طريق عامة الناس، كما قال ذلك الاعرابي في قولته المشهورة: (البعرة تدل على البعير، واثرا الاقدام على المسير، وسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير؟).

وهذه الطريقة في حقيقتها تبثني على بطلان التسلسل في العلل الى غير النهاية، اذ للمجادل ان لايسلم بوجود انتهاء المعلولات الممكنة الى واجب الوجود المستغنى عن كل علة، حينما يتخيل امكان ان تذهب السلسلة الى غير النهاية، كما يتصور الناس امكان اللانهائية في الابعاد اذ يقولون: الفضاء اللامتناهي، وكما يتصور الالهيون اللامتناهي في معلومات واجب الوجود ومخلوقاته، فيقيس اللانهائية في الابداد والمعلومات على اللانهائية في العلل، فلا يفرق بين القسمين، ويعتبر وجود ما لا يتناهي مطلقاً ليس بمستحيل في نفسه، سواء في العلل او في غيرها.

وهذا التصور والتخيل في امكان اللانهائية مطلقاً، أخذ دوراً خطيراً من افكار الناس الماديين المنكرين لوجود خالق الكائنات، لا سيما في العصور المتأخرة،

حتى أخذوا يهزأون من دعوى بطلان التسلسل^(١) وعدّوا ذلك من خيالات الالهيين ، وما لهجوا به وكزروه من كلمة (الفضاء اللامتناهي) ، انما يراد منه تركيز الاقتناع بصحة اللانهائية في كل شئىء .

والمذاهب في اللانهائية في الموجودات ثلاثة :

- ١ - مذهب الماديين وهو امكان كل لانهائية في الموجودات حتى في العلل .
 - ٢ - مذهب الحكماء المتقدمين ، وهو استحالة اللانهائية في العلل ، وفي كل عدد ذي ترتب كالابعاد والآتات ، اما اللانهائية في العدد غير ذي الترتب كمعلومات الباري ومخلوقاته فلا دليل عندهم على استحالتها .
 - ٣ - مذهب بعض الحكماء المتأخرين ، وهو استحالة اللانهائية في العلل فقط دون غيرها ، فلا دليل عندهم على استحالة اللانهائية في الموجودات من جهة اللانهائية ، وان كانت ذات ترتب كالابعاد .
- اما القول باستحالة كل لانهائية من جهة اللانهائية فقط ، فالظاهر انه لم يقل به أحد . والماديون اذ يقولون بامكان كل لانهائية حتى في العلل ، اذ ينكرون بطلان التسلسل ، فهم انما يقولون ذلك بالسنتهم . ولئن حجدوا بهذه الحقيقة فقد استيقنتها انفسهم من حيث يدرون أو لا يدرون ، كيف وهم اذ فرضوا الانتهاء الى المادة ، وانها اصل الاشياء ، فقد التجأوا الى ان يفرضوا مع قدمها وازليتها عدم بقائها ؟ وما ذاك الا ليطمئنوا في دخيلة نفوسهم الى ما جبلت عليه فطرتهم من الاعتقاد بوجوب انتهاء سلسلة الموجودات الممكنة الى ما هو قديم مستغن عن العلة ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك ، وهذه هي مقاتتنا ولا يكون اختلافنا معهم الا في ثبوت العلم والاختيار . والارادة والتجرد لليلة الاولى ، وسياتي حسابهم العسير على فرض المادة واجبة الوجود .

١ - يراد من التسلسل في اصطلاح المتكلمين خصوص اللانهائية في العلل لا مطلق اللانهائية .

فأذن يتفق الماديون معنا بالحقيقة في استحالة اللانهائية في العلل ، وإن أبوا أن يعبروا بهذا التعبير ، وانكروا بطلان التسلسل باللسان .

وينبغي بعد هذا ان نذكر الدليل على بطلان اللانهاية في العلل ، واستحالة التسلسل ، وللحكماء نوعان من الادلة على بطلان التسلسل : نوع يعم كل عدد ذي ترتب بناءً على مذهبهم الذي اشرنا اليه في استحالة اللانهائية في كل عدد ذي ترتب ، ونوع يختص باللانهائية في العلل ، ونحن نكتفي بذكر نموذج من النوع الاول ومناقشته التي يعرف منها مناقشة كل الادلة التي ذكروها من هذا النوع ، ثم نعقب ذلك بالدليل على بطلان خصوص التسلسل فنقول :

برهان التطبيق :

من البراهين المشهورة عند الفلاسفة في الاستدلال على استحالة اللانهائية في كل عدد ذي ترتب ، «برهان التطبيق» ولكنه برهان مخدوش لا يصح الاعتماد عليه ، قال الحكيم العظيم السيد محمد باقر الداماد في كتابه (القبسات) : اما السبيل التطبيقي فلا ثقة بجدواه ولا تعويل على برهانيته ، بل ان فيه تدليساً مغالطياً . وخلاصة هذا البرهان : انه لو وجدت فرضاً سلسلة اخرى ايضا كذلك ، وكان ينطبق طرف التناهي في احدها على طرف التناهي في الاخرى ، فانه لا ينبغي الشك في ان السلسلتين عندئذ يكونان متساويين ، فلو انقصنا من احدى السلسلتين شبراً واحداً أو أي عدد متناه آخر ، ثم سحبنا هذه السلسلة الناقصة لينطبق طرف تناهيها مرة اخرى على طرف تناهي الثانية ، فنقول : إن وقع بازاء كل جزء من السلسلة التامة جزء من السلسلة الناقصة ، لزم تساوي التام والناقص ، وهو مستحيل بالبداهة العقلية ، وان لم يقع كذلك ، فلا يتصور ذلك الا بأن يوجد جزء من التامة لا يكون بازائه جزء من الناقصة في الطرف الآخر الذي زعم انه غير متناه ، وهذا معناه انقطاع الناقص وانتهائه ، واذا كانت الناقصة منتهية في الطرف الآخر ، كانت التامة أيضاً منتهية ، إذ أنها حسب الفرض

لاتزيد عليها إلا بجزء واحد أو باجزاء متناهية ، فاذن لا بد ان تكون السلسلتان متناهيان ، ويستحيل وجودهما غير متناهيتين ، وهو المطلوب .

والجواب عن هذا الجواب المغالطة وامثاله يعلم بالرجوع الى بديهية عقلية غابت عن اذهان هؤلاء الفلاسفة ، وهو أن فرض التساوي والمفاضلة في العدد ، إنما يصح ويمكن في الاعداد المتناهية ، اما الاعداد غير المتناهية سواء كانت ذات ترتيب اولم تكن ، وسواء كانت غير متناهية من جانب واحد أو من اكثر من جانب ، لا معنى لفرض التساوي فيها أو المفاضلة والتفاوت بالزيادة والنقص ، لان هذه امور من خواص الاشياء المحدودة والمحددة ، بما هي محدودة ومحددة ، وعليه فنحن من اول الامر لا نسلم لهم مقدمتهم التي بنوا عليها دليلهم ، وهي ان السلسلتين المفروضتين متساويتان عند انطباق طرف التناهي من احدهما على طرف التناهي من الاخرى ، فضلاً عما رتبوا على هذه المقدمة عندما ينقص شيء محدود من احدهما وطبق طرف احدهما على الاخرى مرة أخرى ، فانا لانسلم أنه يدور الامر بين ان يبقى التساوي وبين ان يحصل التفاوت ، فانه في الحقيقة لاتساوي من اول الامر بينهما ، فكيف يصح السؤال عند بقاءه بعد تنقيص احدهما وتطبيقها ثانياً ؟ والسرف في ذلك واضح فان كل ما فرضته جديداً لتحقيق التساوي بينهما ، فهنا حدود اخرى فوقه ، وهكذا الى غير النهاية ، كلما فرضت حداً فوقه حد ، فتبطل الحدود ، فلا حد حتى يفرض التساوي ، فكيف يصح ان تفرض التفاضل بنقص شيء من احدي السلسلتين ليذهب التساوي الموهوم ؟

ولأجل ان نوضح هذه البديهية العقلية ، نذكر مثل هذا الدليل في لاتناهي الاعداد غير ذات الترتب ، كمعلومات الباري تعالي التي يقولون باستحالة تناهيتها فنقول : هذه الاعداد اللامتناهية ، لو أردنا بفرض الوهم ان نقسمها الى آلاف مثلاً ، ثم نقسمها الى مئات ، فعدّة الآلاف فيها غير متناهية طبعاً ، وعدّة المئات ايضاً غير متناهية ، فعدّة الآلاف اما ان تكون مساوية لعدّة المئات أو اكثر أو اقل . وكل هذا محال ، وما يلزم

المحال محال ، فينتج ان اللاتناهي في الاعداد مطلقاً مجال .
اما ان التساوي محال ، فلأن عدة المئات يجب ان تكون اكثر عشر مرات من عدة الآلاف ، وكذلك بطريق أولى لا يصح ان تفرض ان عدة الآلاف اكثر من عدة المئات ، واما استحالة ان عدة الآلاف اقل من عدة المئات فلأن كل منهما غير متناه حسب الفرض . ودفع هذه الشبهة واضح بعد ما قدّمناه من خواص العدد ، فان اصل فرض التقسيم في اللامتناهي لامعنى له ، سواء قسّمته على الف أو اكثر أو اقل ، لا يكون له حاصل قسمة ، فان حاصل القسمة لو فرض ايضاً يكون غير متناه ، فلم تتغير قيمة العدد ، فلا حاصل للقسمة على الألف او على المائة ، حتى يقال ان عدة الآلاف اكثر أو اقل أو مساوية لعدة المئات . بل تسمية اللامتناهي بالعدد لا معنى له لانه فوق التعداد ، والعدد ماخوذ من العدّ والحصر ، فما لاحصر له لا عدّله وما لا عدّله لا يسمى عدداً .

والخلاصة :

ان جميع النسب في العدد من التساوي والتفاضل والتقسيم والتضعيف لا معنى لفرضها فيما لا يتناهي ، بل انها صفات وخصائص للعدد المحصور ، فإذا لا يكون عدّ ولا حصر ، لا تفرضوا هذه الصفات . واعتبر ذلك بصفة الزوجية والفردية ، فانهم يقولون : ان العدد اما زوج واما فرد ، ولكن هذا الحصر في خصوص العدد المحدود ، فهو من خواص المتناهي ، أمّا ما لا يتناهي ، فلا يصح ان يقال انه زوج أو فرد ، لانه لا ينقسم بمتساويين حتى يفرض كونه زوجاً ، ولا يمكن فرض زيادة أحد قسميه على الآخر بواحد حتى يمكن فرضه فرداً . فما لا يتناهي لا زوج ولا فرد .

وهكذا كل خواص العدد لا يلحق إلا ما يتناهي ، أي لا تلحق الا العدد وأما ما لا يتناهي فليس بعدد ، حتى يصح فيه العمليات الحسابية ، من الحكم بالتساوي أو الزيادة أو النقيصة أو التضعيف والقسمة ، فمن اراد أن يستدل على استحالة

اللامتناهي في أي شيء من الاعداد أو غيرها بمثل هذه الادلة ، فقد غلط في حكمه على الاشياء بغير احكامها .

ومن هنا تذهب سدئ كل الادلة التي ذكروها على تناهي الابعاد في العلوم الطبيعية ولا حاجة الى التطويل في ذكرها وردّها ، كما تذهب سدئ كل الادلة المذكورة لبطلان التسلسل التي هي من هذا النوع الذي وقعت فيه المغالطة من عدم التدقيق في خواص العدد ، اذ أعطى فيها خواص العدد لما لا يتناهى فضاء عليه الطريق السوي .

البرهان على استحالة التسلسل :

بعد اتضاح فساد ذلك النوع الاول من الادلة على بطلان التسلسل التي تُبنى على تلك المغالطة التي خفيت على اولئك الفلاسفة ، فعلينا الآن ان نذكر الادلة التي هي من النوع الثاني الخاص ببطلان اللانهائية في العلل أي التسلسل ، ونكتفي بذكر واحد منها نموذجاً لها ، وهو احسنها وأوضحها ، بل هو البرهان الوحيد على هذه المسألة ، وكل ما عداه في الحقيقة يرجع اليه - ويسمى البرهان الأسد الاحسن وتوضيحه : ان بديهية العقل حاكمة بان كل ما هو بالعرض لا بد أن ينتهي الى ما بالذات ، أي يستحيل لدى العقل بالبداهة أن يوجد شيء أو أشياء هي بالعرض دون ان يوجد ماهو بالذات بالنسبة اليها ، بل يستحيل فرض ما بالعرض دون ما بالذات ، وهذه القضية من القضايا الاولية التي يكفي في الحكم بها مجرد تصور طرفيها ، لانه هنا نفس تصوّر معنى ما هو بالعرض ومعنى ماهو بالذات يكفي في الحكم بانه يستحيل وجود الاول بدون الثاني ، كالحكم بان الكل اعظم من الجزء ، فان نفس تصور الكل والجزء كافٍ في الحكم بأن الكل اعظم من الجزء ، ولا شك في أن السلسلة من العلل والمعلولات الممكنة اذا كانت كلها ذاهبة الى غير النهاية من دون ان تنتهي الى ماهو علة بالذات ، فان آحادها غير المتناهية بأسرها يصدق عليها أن

وجودها بالعرض ، لانها كلها ممكنة حسب القرض ، لاقتضاء في ذاتها للوجود وللعدم ، فكل شىء في الوجود من هذه السلسلة مهما ذهبت الى غير النهاية يكون وجوده بالعرض ، فلولم يكن وراء هذه الموجودات غير المتناهية ما هو بالذات استحال وجودها بمقتضى تلك البديهية العقلية الاولية ، فاذا لابد أن تنتهى موجودات الكون الى ما هو علة بذاته ، وهو واجب الوجود المستغني عن كل شىء ، وينبغي ان يعلم انه على هذا الدليل حتى لو فرضنا تسلسل هذه السلسلة الى غير النهاية ، فانها مع ذهابها الى غير النهاية لا بد أن يكون من ورائها ما يعطيها الوجود ويفيض عليها الحياة ويمنحها القدرة ، وهو الموجود لذاته الحي القادر القيوم ، والفرض انا لانقول إن لانهاية العلل مستحيلة من جهة اللانهاية فيها ، فلنفرض ان العلل في الوجود غير متناهية فعلاً لافي المبدأ ولا في المنتهى ، ولكن المستحيل هو ان تكون هذه العلل المتسلسلة موجودة وليس ما وراءها ما هو علة بذاته هو واجب الوجود مستغن بنفسه عن كل علة وعن كل شىء ، لانه كما قلنا اذا كانت كل افراد هذه السلسلة غير المتناهية المفروضة ممكنة لاقتضاء في حد ذاتها للوجود ، فمن اين كان لها الوجود ومن أي شىء بدأت تلك السلسلة حتى يوجد شىء ما بعده ؟

محاضرات فلسفية

أملأها المرحوم الحجة الشيخ

المظفر على طلبة الصف الرابع في

كلية الشريعة عام ١٩٦١ = ١٩٦٢ م

وكتبت بدقة وأمانة

الفلسفة وعلم الكلام

الدرس الأول

الثلاثاء ١٠/١٠/١٩٦١م

نشأة علم الكلام

الفلسفة تبحث عن الموجودات بماهي موجودة وثابتة من حيث هي في نفس الامر والواقع . وتنقسم الفلسفة الى فلسفة عامة وفلسفة الهية ، فالعامة كالبحث عن العلة والمعلول ، والالهية مثل البحث عن وجود الله تعالى وصفاته .

وتفترق الفلسفة عن علم الكلام ، أن الكلام وضعه المسلمون للدفاع عن الدين ، والفلسفة ليس فيها طابع ديني ، ولا تسلك مسلكاً معيناً أو تتبع ديناً بخصوصه ، بل تبحث عن الحقائق على ماهي عليه ، وهذا التجرد قد يحمل الفيلسوف على تبني رأي مخالف للشريعة الاسلامية أو لظاهر الشريعة الاسلامية ، مما يوجب الخروج عن الدين في واقع الامر أو في نظر المسلمين . والفيلسوف لا يبالي أن ينقض البرهان الذي أقامه ديناً أو مذهباً .

ولما انتشرت الفلسفة اليونانية قلدها بعض العرب تقليداً أعمى ومن غير نضج ، فوجب بلبلة في الافكار عند المسلمين ، وشعر المسلمون بانهم مهاجمون من قبل الفلسفة اليونانية ، كما أوجدت الفلسفة الحديثة في عصرنا الحاضر بلبلة في افكارنا . ولما كانت طبيعة الفلسفة النظر الى حقائق الاشياء غير مقيدة برأي ولا عقيدة ، وإصطدمت هذه الفلسفة اليونانية ببعض مواقف الدين الاسلامي وافكاره ، تصدئ

المسلمون للدفاع عن عقائدهم بأسلوب البراهين الفلسفية ، وحاولوا التنسيق بين الآراء الراجحة في الفلسفة وبين نظريات الاسلام ، فنشأ من ذلك علم الكلام ، فعلم الكلام انما نشأ للدفاع عن العقيدة الاسلامية عندما هاجمتها الفلسفة اليونانية ، واستخدموا الاساليب البرهانية التي تستخدمها الفلسفة - كما نراجع اليوم آراء - الغربيين فما ينفعنا في خدمة الدين أخذنا به ، وليس معنى ذلك تصحيح الافكار الغربية ، ولكن لنقنع اولئك بشكل من الاشكال ، مثل ان نقول بان الصلوة تحتوى على رياضة بدنية ، ليرضى بها المتفرنجون ، لانهم يقدسون الرياضة ، ويعتبرونها فوق الاديان والعقائد .

فعلم الكلام علم مستقل لاعلاقة له بالفلسفة ، فالفلسفة هي البحث عن الوجود واقسامه والبحث عن الاشياء الموجودة بماهي هي ، اما علم الكلام فلا يشبه الفلسفة لانه انما نشأ عند المسلمين لرد عادية الفلسفة المهاجمة خوفاً من أن تؤثر على العقيدة الاسلامية أو ما يرونه عقيدة اسلامية .

وقد نهانا ائمة الهدى (عليهم السلام) وحذرونا من اتباع المتكلمين من غير دليل لأنهم علمونا اتباع الاسلام بأكمله ، ونهونا عن اتباع رأي علمي من غير علم و يقين ، وقد يحتمل أن يصبح رأي غير علمي في يوم من الايام أضحوكة للعالمين ، ويجب على المسلمين الاخذ بافكار الدين الاسلامي ولو تعبدت وان فقدنا البرهان العلمي والعقلي على ذلك ، وهل من الضروري إقامة البرهان على افكار واحكام رسالة محمد (ص) - المبرهن عليها سلفاً - بصورة تفصيلية ؟ أم يجب التسليم ؟ كالاعتقاد بالجنة والنار ، فاذا لم يثبت ذلك بالدليل الفلسفي أو العلمي فهل ينبغي لنا الرفض مع ايماننا بالشريعة الاسلامية ؟ فقد حفظ ائمتنا عقيدة الاسلام من الانهيار امام التيارات اليونانية بمحاربتهم المبدعين المضللين . ولا نجد فيلسوفاً عظيماً في عهد الائمة إلا وهو من اتباع مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) .

الدّرس الثاني

هدف الفلسفة ، وهدف علم الكلام الخميس ١٢/١٠/١٩٦١

وهدف الفلسفة معرفة حقائق الاشياء على ماهي عليه بقدر الطاقة البشرية . وهذا التعريف للفلسفة تعريف بالغاية . وعلم الكلام هدفه تصحيح العقائد الاسلامية . لما هاجمت الفلسفة افكار المسلمين وأوجبت اضطرابهم وتبليبلهم وقد كان الناس في السابق يقدسون الفلسفة ويتلقون افكارها كوحى منزل ، نشأ من ذلك حالة من الازدواجية تدعو الى التوفيق - مهما كلف الامر - بين ما جاء به الاسلام وما جاءت به الفلسفة ، ولو بتأويل ما جاء به الاسلام لصالح ما جاءت به الفلسفة ، في الحالة التي يوجد فيها تغاير وتعارض بين الاثنتين ، فنشأت مذاهب ومدارس فكرية مختلفة متناحرة ، نتج عنها فتن كثيرة سالت فيها دماء كثيرة . فهناك المعتزلة ، وهناك الاشاعرة ، وهناك المجبّرة ، وهناك المفوضة ، الى غير ذلك ، فمنهم من جوّز تقديم المفضول على الفاضل ، واختلفوا في القرآن هل هو مخلوق أم لا ؟ وفي الوعد والوعيد وفي امور كثيرة . واختلفوا في تفسير قوله تعالى : ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ... فما هي هذه الاشياء الثمانية التي تحمل العرش ؟ لا بد ان تكون هي الصفات الالهية الثبوتية وبحثوا في هذه الصفات - ووجدوها سبعة ، وعندما اضطروا الى اضافة صفة اخرى لتكون ثمانية ، اضافوا الكلام النفسي ، واعتبروه قديماً ، لانه صفة من صفاته تعالى ، وصفاته مثل ذاته قديمة - كما قالوا ولما كان القرآن من كلامه عزّوجل فهو قديم ، والقائل بحدوثه كافر عندهم يستحق القتل ، فنشأة علم الكلام كانت عند المسلمين في أول الامر عاملاً في افساد كثير من العقائد .

ونتج عن ذلك مصادرة للحريات ، وصار البحث حول الادلة التي تؤيد الافكار المتبناة ، لا البحث عن الواقع كما جاء في الاثر ، واختفت الفلسفة والفلاسفة ، وصارت تدرس سرّاً لان الفلسفة تضمن للانسان حرية الفكر ، ونشأ في الشيعة كثير من

الفلاسفة خفية ، ونتج عن ذلك الجو فساد المجتمع واضطراب افكاره وكثرة الفتن فيه ، وابتعد الناس عن الينا بيع الأصيلة للفكر للاسلامي ، ولم يراجعوا ما كان صدوره قطعياً من الآثار ، ولم يهتموا بما جاء عن اهل البيت في تصحيح الافكار ، وقد كان هدف ائمة الهدى ان يذكروا الناس بما جاء به جدّهم رسول الله (ص) ، واعتمد الناس على ما رواه واكثر فيه أبو هريرة الذي روى ان الله تعالى يضع رجله في النار يوم القيامة ، فتقول قطني ، قطني ، وانتشرت افكار الجبر والتفويض ، وانتشر بين الناس مارواه أبو هريرة من أن الله يُرى يوم القيامة كالبدر الطالع ، وحاول بعضهم تبرير كل ذلك من الناحية الكلامية ، واعتباره فكراً اسلامياً له أدلته ! ولكن هل هذا من المبادئ الاسلامية التي ندافع عنها نومن بها ؟ كلا ! إن من مفاخر الاسلام ومعاجزه أنه لم يكن منه شيء قطعي يناقض شيئاً قطعياً من الفلسفة ، ولم يحتو القرآن على أي شكل من اشكال التناقض والتهافت ، على الرغم من مرور مئات السنين على صدوره ، ولو كان غيره لظهر ، ولو بعد مائة عام مايدل على نقصه وعدم كماله . قال تعالى : «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» . وكان سبب ظهور الفتن هو تبني آراء مغلوطة ، واعتبارها من الاسلام ، والتماس الادلة لها من القرآن والمصادر الاخرى ، ولو بالتأويل والتمحّل ، مع ان الصحيح هو أخذ افكار الاسلام من ينابيعه الاصلية الثابتة بطريق قطعي ، حينئذ ان لا تحتاج تلك الافكار الى البرهنة عليها الاكوسيلة للاقناع ، فمن كان يريد الهداية عليه ان يأخذ بما ثبت من الاسلام قطعاً ، أما المظنون فيحق للشخص احتمالته وترجيحه ، ولكن لاعلى أن يعتبره عقيدة قطعياً لانقاش فيها .

ومما ابتلي به الشيعة انهم وقعوا في المناقشات الكلامية ، واضطروا أن يدرسوا ماخلفه اهل السنة من نظريات كلامية ، على الرغم من نهي الائمة (عليهم السلام) عن سلوك هذا الخط .

وقد تبلورت اخيراً آراء ونظريات كلامية للشيعة الامامية ، ولكن هناك رؤية قد

تكون غير واضحة عند البعض منهم ، على سبيل المثال نظرة الشيخ الصدوق الى الصفات الثبوتية ، وتفسيرها تفسيراً سلبياً ، فمعنى العلم هو عدم الجهل ، ومعنى القدرة هو عدم العجز ، ومعنى الحياة هو عدم الموت ، فجعل الله مكوناً من أعدام ، والذي دعاه الى هذا أن الصفات لو كانت ثبوتية لا صبحت متعددة ، وهذا ينافي التوحيد المطلق الذي يدين به الشيعة .

وكان الشيخ الطوسي أعظم مصلح في حينه لعلم الكلام عند الشيعة ، فقد صحح ما عند الشيعة من رواسب غير صحيحة . وكلمة نقولها لطلابنا إن علينا ان نبحث بحرية وبموضوعية وتجرد ، ونأخذ ماثبت قطعياً من الاسلام فان فهمناه والاعتقدنا به تعبداً على كل حال لان مصدره الاسلام ، ونحن لانزال قاصرين عن ادراك حقائقه .

الدرس الثالث

أثر الآراء اليونانية على أفكار المسلمين السبت ١٤/١٠/١٩٦١م

الاحكام التي يراد اثباتها للمسائل الفلسفية لايجوز ان تكون بالاستحسانات ، بل بما يؤخذ من فطرة العقل التي لاشك فيها ، فان العقل في سلامته الفطرية لايقبل في تفسير قوله تعالى : «الرحمن على العرش استوى» «يدالله فوق ايديهم» أن يكون لله عرش مادي ، أو يد مادية ، كما هو ظاهر هاتين الكلمتين .

اساس الاختلاف بين المسلمين عقائدياً هو تأثرهم الشديد بالفكر الفلسفية التي سرت اليهم من هذه الفلسفة اليونانية ، وجرى الشيعة على منهج السنة أحياناً في اسلوب التقليد المنهجي ، مفسرين عينية الصفات للذات والامر بين الامرين بهذه القواعد الكلامية . والآن توجد بعض الحرية الفكرية ، وبامكاننا ان نؤثر على غيرنا ونغزوا العقول لو استطعنا ايصال صوتنا ، وبسطنا آراءنا بوضوح امام الآخرين .

فعلم الكلام أفسد اكثر مما أصلح . لابس ان يقرأ الانسان العلوم ، ولكن لا على ان

يستقي منها عقيدته بالله واليوم الآخر، فالإنسان حين ينظر الى نفسه وأموره يجد لها خالقاً مدبراً، ولكننا ندرس الفلسفة لردّ الشبهات وللإقناع ولتوسيع أفق الذهن وزيادة المعلومات، ولاناخذ منها عقيدتنا، والفلسفة أبعد ماتكون عن العقيدة الصافية الخالصة الصحيحة.

ولا يجب ان نعتقد بالله على طريقة الفلاسفة، لأن الله لم يكلفنا بذلك بل العقيدة العامة تكفي عند الله، ولكنك لاتستطيع أن تفهم المصطلحات والبحوث الفلسفية دون ان يكون لك إلمام بالفلسفة. ان الذي لاعقيدة له ويريد ان يستند في عقيدته الى مثل هذه الفلسفة فهو يضرب بحديد بارد.

الدرس الرابع والخامس

الاربعاء والاثنين ١٨، ٢٣/١٠/١٩٦١م

قال تعالى: «ربنا لاتزع قلوبنا بعد اذ هديتنا...» لاتحتوي هذه الآية على أية شبهة من الناحية العقائدية، فنحن نرى ان الفعل ينسب الى الله والى العبد في وقت واحد بدون مجاز ولا تجوّز، بنحوين من الانتساب، لا على انهما شريكان ولا على ان أحدهما في عرض الآخر، وجهة الانتساب الى كل منهما مختلفة، فجهة انتسابه الى العبد هو المباشرة، وجهة انتسابه الى الله افاضة الوجود، فانت تزرع بلا مجاز، والله تعالى هو الزارع بلا مجاز أيضا لانه هو مفيض الوجود، فلذلك قلنا: ان الله كريم اذا طلب الشيء بلسان استعداده أن يدخل في نظام الوجود فهو يفيض عليه الوجود، لانه لا يدخل في ساحته. والفيض لا يكون الا خيراً وعلى طبق ما تقتضيه الاسباب الطبيعية، فان كانت تقتضي الوجود الكامل جاء الفيض كاملاً، وان كانت تقتضي الناقص جاء الفيض ناقصاً، فالزئغ وجود ناقص بسبب تأثير الاسباب الطبيعية وعدم

قابليتها للوجود الكامل^(١) .

الشر منسوب الى العبد باعتبار عدم قابليته على الوجود الكامل ، وذلك لأن الوجود خير محض ، والعدم شر محض ، ونسبة الشيء الى الخالق تعالى من ناحية وجوده ، ونسبته الى الانسان من ناحية تقيصته وحصته من العدم ، والقابلية انما تأتي من الذات المجعولة بالجعل البسيط .

أما ما ذكره السيد الرضى من الآراء في الآية فهي كالاتي :

١ - القول الاول : قول بالتفويض لانه يظهر منه ان افعالنا ليست مرتبطة بالله تعالى ، وان الله تعالى يعلم بها علماً حصولياً لا حضورياً ، وليس هذا هو الامر بين الامرين .
٢ - القول الثاني : هذه الاسباب اما ان تكون علة تامة فيكون قولاً بالجبر وإن كانت مجرد تهيئة موضوع ، والا فيكون قولاً بالتفويض ، ولا تكون هناك علاقة بين الله وبين الفعل .

٣ - القول الثالث : هو الامر بين الامرين وهو ما نقول به ، وتعلمناه من مدرسة أهل البيت ، ويمكن تفسير الآية بدون أي شبهة أو اشكال على ضوءه ، فعلى غير قولنا لاتتم ولا تسلم هذه الآية من الاشكال والشبهة لان الازاغة اما ان تكون من الله فهو الجبر ، أو من العبد صرفاً فهو التفويض ، وقولنا يصحح الانتساب الى الجهتين باختلاف النسبة .

٤ - القول الرابع : ويرجع الى وجهين :

الأول : ان نسبة الزيف والازاغة اليه تعالى نسبة مجازية ، فقد سمّاهم زائعين مجازاً ، وهذا التاويل ينشبق من الروح التفويضية .

الثاني : انه بعد ان منع أطفاه عنهم زاغوا وان لم يقصد ازاغتهم وهذا يشم منه

١ - مقصوده (رحمه الله) من الأسباب الطبيعية : الانسان وارادته ، ومقصوده من عدم القابلية : سوء الاختيار .

رائحة الجبر .

هذه الآية محكمة وليست متشابهة ، وكذلك كل الآيات التي تجري مجراها . وهنا يأتي سؤال : أليس الازاغة بعد الزيغ تحصيل حاصل ؟ الجواب : كلاً ! لأن نسبة الزيغ الى كل من الفاعلين مختلفة ، وانما يكون تحصيلاص للحاصل مع اتحاد النسبة ، وهما ليسا فاعلين متعارضين ، ولا مشتركين ، ولا متعاونين ، وهذا الفعل الواحد ينسب في آن واحد غير زمني الى فاعل مابه الوجود ، والى فاعل ما منه الوجود وجهة الانتساب مختلفة ، نسبة الزيغ الى الله لا تحتاج الى تأويل ، وانما تحتاج الى تأويل حين يضيق بنا التعبير ، ونفهم ان نسبة الفعل الى الله معناها الجبر .

الله مع كل الاشياء لا بمقارنة ، فهو معنا لكنه ليس متحداً معنا ، وغير كل الأشياء لا بمزايلة ، أي لا يوجد هناك شيان منفصلان ، فالاشياء لاشيئية لها إلا به ، فهو اولي بوجودها من انفسها ، لان العلة اولي بالوجود من معلولها^(١) .

ويحمل على هذا كل من الآيات التي تحتل بادىء الرأي خلاف ذلك .

فمنها : قوله تعالى : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » .

ومنها : قوله تعالى : « ما أصابكم من مصيبة فمّن الله ... » وفي آية اخرى فمّن انفسكم ، وقوله تعالى : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » وقوله تعالى : « ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا » .

فلا مناص لغير المتعمق اما ان يقول بالجبر او التفويض ، فاذا هرب من احدهما فلا بد ان يقع في الآخر .

١ - المقصود من العلة هنا : الخالقية وليس العلة الفلسفية التي لاينفك عنها معلولها ، ومن الجدير بالانتباه أن وصفه تعالى بانه علة لم يرد في الكتاب والسنة ولكن استعملت كلمة فاطر وخالق كل شياء وأمثال هذا ، والامر سهل .

ونظرية الامر بين الامرين معناه لا هذا ولا ذاك ، ولكن ليس معناه شيء من هذا وشيء من ذاك ، وانما هي شيء جديد بينه لنا ائمة الهدى (عليهم السلام) .

الدرس السادس

التجبر والتفويض الاربعاء ٢٥/١٠/١٩٦١ م

سأل ابن زياد الامام زين العابدين ما اسمك ؟ قال : علي بن الحسين ، قال ابن زياد : أليس قد قتل الله علياً ؟ قال الامام كان لي اخ اكبر مني قتله الناس ! قال ابن زياد بل الله قتله ! قال الامام : الله يتوفى الانفس حين موتها . فجرمة القتل بما هي جريمة صادرة من الناس ، ولكن الله يتوفى الانفس ، هذا هو الامر بين الأمرين . فناحية النقص والشروع منسوبة الى العبد ، والله تعالى يفيض الوجود على الاشياء ان طلبت بلسان استعدادها . فالشروع أعدام ، وليست وجودات فنقصان الوجود يأتي من انضمام الأعدام اليه ، فايلاء الملك في الآية : «يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء» امر وجودي ، فهو من الله ، لان كل شيء تحت سلطانه ، ولو خرج الشيء عن سلطانه لانعدام ، ولكن سوء التصرف من العبد ، ولم يؤته الله اياه فهو عدم خير . والعدميات تستند الى عدم تامة فاعل ما به الوجود ، وعدم قابلية المحل القابل لافاضة الوجود الكامل .

لو كان الله فاعل ما به الوجود بالنسبة الى القتل مثلاً لما استحق القاتل العقاب ، فالشر لا يفاض من الله ، وانما يقال في الوجود الناقص ، انه ليست له قابلية استيعاب الوجود والفيض الكامل ، لا أنه افيض عليه النقصان أو العدم ، الله يؤتي الملك من يشاء وليس هذا خلاف مذهبنا ، فالذي يستطيع ان يستولي على الملك بدون القدرة الموهوبة يكون شريكاً لله عز وجل فلا بد أن يكون الايتاء من الله بعد ان تقتضيه الاسباب الطبيعية .

الوجود نور ، ولا يعقل ان يتحول النور الى ظلمة ، والوجود نور الله في ارضه ، وعدم تلقي الحائط لكل نور الشمس ، ليس لنقص في نور الشمس ، بل لعدم قابلية الحائط لذلك ، فاذا قلنا ان هذا النور هنا مظلم فقد ارتكبنا مجازاً ، ونعني بذلك ان القابلية على التلقي لم تصل الى درجة الكمال .

من ناحية فاعل ما به الوجود ، فالفاعل مستقل ، وليس الله تعالى شريكاً له ، ومن ناحية ما منه الوجود ومفيض الوجود ، فالله مستقل ، ولست شريكاً له في ذلك .

كل من، المَجْبِرَة والمفوضة نظروا الى جهة وغفلوا عن الجهة الاخرى ، ولكن الانسان يجب ان يكون ذاعينين لا ذاعين واحدة فمن نظر بعين واحدة كان أعور ، ينظر الى افاضة الوجود من جهة واحدة فيتصور أن الناس مجبورون ، وينظر من الجهة الاخرى وهو أن الناس يعملون أعمالهم باختيارهم ، فيتخيل انهم مفوضون ، ولكن لو انقطع فيض الله تعالى عنى لحظة واحدة لانعدمت وانعدمت افعالى ، وانا أسبح في سلطانه وعظمته .

معنى الجبر ان فاعل ما منه الوجود هو فاعل ما به الوجود ، وهو الله تعالى ، ومعنى التفويض ان العبد هو فاعل ما به الوجود وما منه الوجود ، ولكن القوم لم يلتفتوا الى هذه النكته ، وهي ان العبد فاعل ما به الوجود ، والله تعالى فاعل ما منه الوجود ، فمن ناحية فاعل ما به الوجود لاجبر ، ومن ناحية فاعل ما منه الوجود لاتفويض . فيصح في العقل ما جاء في الاثر عن أهل البيت (عليهم السلام) : «لا جبر ولا تفويض ولكن امرين» .

الدرس السابع

الاحد ٢٩/١٠/١٩٦١م

الجبر والتفويض

في معنى ايتاء الملك من يشاء ونزعه ممن يشاء احتمالات :

١ - معنى مالك الملك أي انك تملك عبادك . فمن اطاعك تؤتبه الملك ، ومن عصاك تسلبه الملك .

٢ - باعتبار خلقه للاشياء فهو مالك لها ، ويلزم من ذلك عدم ملكه للاشياء والاعمال غير المباحة ، ويكون حكام الجور مستقلين عن قدرة الله تعالى ، وهو التفويض غير المقبول . فيستقل العبد في العمل والقدرة . ولكن نقول : ان الله ارادة تكوينية وارادة تشريعية - فهو تعالى - مكّنههم بالارادة التكوينية ونهاهم بالارادة التشريعية ... وانما يكونون ملومين لنقصان انفسهم^(١) واجترائهم على الحرام . وملحض هذا القول : تعزّ من تشاء يعني المؤمنين وتذل من تشاء يعني الكافرين ، واذا وجدت عند الكافرين عزّة ظاهرية ، فهي ليست من الله ، وليست هي بعزة اصلاً .

٣ - ان الآية نزلت في مورد خاص وقضية واقعة ، فلا يلزم الجبر ولا التفويض . وهذا تهزّب من الاشكال لا حلّ له .

٤ - الآية غير ناظرة الى استملاك الكافرين ، فالمراد من الملك الملك المعنوي ، فيكون ملكاً تشريعياً . هذا خلاف الظاهر ، ولا علاقة له بالجبر والتفويض .

الدرس الثامن

ماهية واجب الوجود اثبته
الاحد ١٩٦١/١١/٥ م
نبدأ في عامنا هذا ان شاء الله تعالى البحث في الالهيات بالمعنى الاخص وأهم
المباحث في الالهيات :
اولاً : اثبات واجب الوجود .

والثاني : اثبات ان ماهيته اثبته يعني ان ماهيته هي محض وجوده .

١ - المقصود هو سوء الاختيار كما تفسره الجملة التالية (واجترائهم على الحرام) .

والثالث : صفاته والبحث في انها هل هي نفس ذاته او زائدة عليها ؟
 اما مسألة إثبات واجب الوجود ، فقد تقدم ما يكفي للكلام فيها . هناك طريقتان :
 احدهما : طريقة العامة ، وهو اثبات واجب الوجود تعالى عن طريق معلولاته^(١) وهو
 ما يسمى بالدليل الإثبي .

والثانية : طريقة الخاصة وهو الدليل اللّمي ، وهو الاستدلال على واجب الوجود
 بنفس البحث عن الوجود .

نبدأ أولاً في معنى ان ماهيته إنّيته :

الفلاسفة يقولون : ان الله تعالى هو محض الوجود ، أي ليس له ماهية تنتزع ،
 فيقال كذا له الوجود ، كما يعبر عن باقي الماهيات الممكنة التي هي زوج تركيبية .
 فليس له ماهية يعرض عليها الوجود كما في سائر الممكنات التي يحللها العقل الى
 شيىء ثبت له الوجود .

واذا ثبت ذلك يثبت بطريق واضح بطلان نظرية الماديين الذين يقولون : ان العلة
 الاولى للاشياء هي المادة ، ونحن نقول : ان الوجود هو الاصل ، وقولنا يكفي لدفع
 قولهم ، اذ لو كان الاصل ماهية لها الوجود وجزان تكون هذه الماهية هي المادة ، كان
 لابد للمادة من اصل ترجع اليه ويكون موجداً لها . وكذا قال الدهريون الذين فرضوا
 ان هناك شيئاً آخر هو واجب الوجود ، ولكنه ليس محض الوجود . مادة او طبيعة او
 دهرأ أو غيره .

الفاعل الاول يجب ان يكون محض الوجود ، لانه لو كان له ماهية لخرج عن كونه
 واجب الوجود .

ما معنى ان ماهيته إنّيته ؟ وما مدى فائدة هذا البحث ؟ . معناه ان الواجب هو
 صرف الوجود . ان اول الاشياء لايمكن ان يكون ممكنا لانه لايمكن ان يوجد

بالعرض ولا بد ان يفرض في حد ذاته واجب الوجود ، فمن اين هذا الوجود ؟ اذا كان وجوده مستعاراً فلا بد للمجاز من حقيقة - لا يمكن فرض العالم كله مجازاً لاحقيقة وراءه فهذا الذي هو (ما بالذات) سمّوه ماشئتم يجب ان نفرضه واجب الوجود ، لانه ان فرضته ممكناً محتاجاً فوجوده مستعار ، فالمستعار منه اي شىء هو ؟ واذا كان وجوده بالعرض فالموجود بالذات أي شىء هو ؟ فلا بد ان يفرض ما وجوده بالذات واجب الوجود ، و واجب الوجود لا بد ان يكون محض الوجود ، أي ليس له ذات يعرض لها الوجود ، وعدم تغلغل هذا المعنى هو الذي جوّز على بعض العقول ان يفرضوا أن يكون مصدر كل الاشياء مادة ، وصعب عليهم ان يتفعلوا ان واجب الوجود هو صرف الوجود . وعلى قولنا لا يمكن ان يكون صرف الوجود مادة ولا طبيعة . ولا بد ان يكون متصفاً بجميع صفات الكمال .

هذه المسألة وهي اثبات الالهية لواجب الوجود تتركز على أن ماهيته إنّيته أي إنه صرف الوجود ، لاننا حينما نفرض ان له ماهية يعرض عليها الوجود ، جاز أن تكون تلك الماهية مادة او طبيعة ولا يصح في العقل ان يكون واجب الوجود ماهية لها الوجود ، لان ذلك محال - ولا يمكن ان يكون واجب الوجود الا اذا كان صرف الوجود ، لانه اذا كان له ماهية عرض لها الوجود ، فما فرضته واجب الوجود يخرج عن كونه واجب الوجود . فيجب ان يكون واجب الوجود محض الوجود وصرف الوجود ولا حد له .

ما معنى الماهية هنا ؟ بعد ان قلنا : إن الاصل هو الوجود ، وانه المشار اليه ، وذو الأثر ، فالماهية حد من حدود الوجود ، وهذا التحديد بالنسبة الى واجب الوجود محال ، لانه لا يقبل التحديد ، لانه متى ما حدّد باي حد ، فمعناه انه حصر بشىء من الاشياء ، ومعناه انه احتاج الى الوجود ، فيفتقر الى الغير ، في حين ان معنى واجب الوجود انه غنى عن اي شىء غيره .

فلذلك لا يعقل في واجب الوجود الظرفية ، والمكانية ، والزمانية ، والاوليه ،

والنهائية الزمانية ، فيقال : لا أولية لأوليته .

نحن نتكلم الآن من الناحية الفلسفية غير مقيدين بأي رأي ، وننظر في الموضوع من حيث هو .

بعد ان قام البرهان على ثبوت واجب الوجود ، ولم يكن مبرر لان تكون كل الموجودات ممكنة ، لذا اضطروا أن يقولوا : إن المادة او الطبيعة أزلية ، ولكنها كلها محدودة ، فاذا فُرضت واجبة الوجود ، لا بد ان تكون صرف الوجود وغير محدودة . ثم ما معنى الوجود الذي له ماهية ؟ هل ان هناك ماهية موجودة طراً عليها الوجود ؟ نحن عندما نفرض عروض الوجود على الماهية ، انما نفرض ذلك في الذهن ، لافي الخارج ، وليس يعنى ذلك ان الماهية توجد ثم يعرض عليها الوجود ، وانما نحلل بالتحليل العقلي هذا الموجود الى انه ماهية ووجود . الوجود هو الموجود وهو المتأصل ، وتنتزع الماهية منه وتكون من حدوده ، ووجود الماهية بالوجود ، ومعنى وجود الماهية انه شىء محقق .

اما واجب الوجود فلا يعقل ان يكون محدداً بحدود عدمية ، لانه اذا فرض ان له ماهية يكون الوجود عارضا عليها فيكون محدداً ، ومعناه انه غير واجب ، ففرض انه واجب ينافي التحديد ، فما فرضته انه واجب الوجود لا يكون واجب الوجود ، وهذا نسميه (قانون الذاتية) يعنى ان الشىء هو هو ولا يكون غيره ، فالشىء اذا فرضته واجب الوجود ، لا يمكن ان يكون غيره ، والالكان خلفاً ، وتناقضاً ، فنفس فرض كونه واجب الوجود معناه أنه غير محدود ، وهو معنى كونه لا ماهية له ، لذا قال ابن سينا : ان قولهم يجب وجوده تصحيف لجملة (بحث وجوده) أي صرف محض ، لان الكتابة يومذاك كانت بدون تنقيط .

فلا يمكن ان نتعقل انه واجب الوجود ، وله ماهية . وهذا يرجع الى اوليات القضايا .

الدرس التاسع

البديهيات العقلية الاولى الاثنى عشر ١٣/١١/١٩٦١ م

ليس المهم اثبات ان هناك واجب الوجود، لان ذلك لا يحتاج الى دليل، لان نفس البديهية التي تقول: ان كل ممكن لا بد له من علة، تفرض وجود واجب الوجود، وهي بديهية يعلم بها كل أحد وان انكروها بالسنتهم، ولكن قد استيقنتها انفسهم. وكلام الماديين لا يتضمن انكار واجب الوجود، بل يرجع كلامهم الى انكار العلم والاختيار في واجب الوجود، وقد قالوا بأزلية المادة. اذن لا بد من مبدا للعالم باعتراف الجميع، وبضرورة عقل الجميع، وكلما نحتاجه هو اقامة الدليل على الصفات الكمالية لواجب الوجود.

فاول شىء نثبت في هذه الجهة هو انه صرف الوجود، وان ماهيته إنثيته، ومعنى ذلك انه غير محدود، بعد ان ثبت ان الماهية هي حد للوجود. الاشياء المميزة المحددة للشىء تكون معرفة له، اما ما كان يستحيل فيه التحديد، يعني انه غير محتاج الى الغير من جميع الجهات، فلا يمكن فيه ان يعرفه شىء، لانه ليس بمحتاج فلا حد له، ولا ماهية، وهذا لانسميه بالبرهان، بل ان فهم معنى واجب الوجود يقتضى هذا المعنى، وهو من الاوليات التي ندركها بوجودنا بمجرد تصور الطرفين، ونحن نريد ان ترجع كل أفكارنا الى الاوليات التي يستحيل ان يرفضها العقل أو يجحدها وهي في المقام كما يلي:

١- كل ممكن لا بد له من علة.

٢- كل ما بالعرض لا بد ان ينتهي الى ما بالذات، فكل الاشياء لا بد ان تصل الى واجب الوجود، وهذا لا يحتاج الى برهان، ولكننا نريد اقناع هؤلاء الذين جحدوها واستيقنتها انفسهم، وان ما قالوا بحصوله بالصدفة يرجع في نهاية المطاف الى اعترافهم ضمنيا بواجب الوجود، ولكنهم يسلبون عنه العلم والقدرة.

وقد قلنا إن ماهيته أثبتته ، يعني انه صرف الوجود ، فلو لم يكن كذلك لكان ممكناً ومحدوداً ، ولخُرج عن كونه واجب الوجود ، فما فرضته واجب الوجود اصبح غير واجب ، وهو مستحيل ، وهذا هو مفاد قانون الذاتية ، وهو البديهية العقلية التي تحكم بان الشئىء هو هو لا يكون غيره ، فمثلاً ان م هو م ولا يمكن في حال كونه م ان يكون ب ، فلا يعقل ان يكون ما فرضته واجبا ممكناً ، لانه يلزم من ذلك الخلف ، ويشبه من ناحية الاستحالة قانون التناقض مع فارق ان التناقض هو نسبة المحمول الى الموضوع الخارج عن ذاته .

فالمراحل الاولى التي يجب ان نبتدىء منها هي :

١- لا بد من انتهاء الاشياء الممكنة الى واجب الوجود .

٢- ما كان واجب الوجود لا ماهية له بمقتضى قانون الذاتية ، ولا يجوز ان يكون محدوداً بحدّ ، هو حقيقة الوجود المطلق من دون ان تكون له ماهية ، بعد أن ثبت أنّ ماهيته أثبتته ، يعني صرف الوجود ، وانه الوجود المطلق الذي لا حدّ له . بعد هذا يمكن التوصل الى معرفة صفاته ، وانه يجب ان يكون كاملاً ومستجمعاً لجميع صفات الكمال .

فالدليل اللمى : اننا حين نفهم انه تعالى صرف الوجود ، ونفهم انه كامل الوجود ، وان وجوده ذاتي ، وان ذاته بذاته منشأ الانتزاع . إنه موجود مطلق فلذلك لا حدّ له ، وهو كامل من جميع الجهات ، فاذا دخل فيه العدم من جهة من الجهات ، لم يكن واجب الوجود . مثلاً اذا كان مجرداً عن العلم ، دخل في حقيقته الجهل ، وهو نقص وضعف وفقر وعدم ، فكان محدوداً ، ولما كان حقيقة الواجب أنه صرف الوجود ، وان حقيقة ذاته بذاته ، فما فرضته واجب الوجود لم يكن واجب الوجود . فقانون الذاتية كما يفرض ويثبت وجوب وجوده ، كذلك يفرض علينا الادّعاء بانه كامل من جميع الجهات .

هناك كمال للوجود ، وهناك كمال للماهية يعني كمال للناقص كالكمال

الجسماني ، مثلاً ان من كمال الانسان انه يستطيع حمل ٥٠ كغم فهذا كمال للجسم وليس كمالاً للوجود ، ومرة نقول : ان نفس الوجود يقتضي هذا الكمال مثل العلم والقدرة والحياة . مثال آخر على كمال الماهية ان نقول : ان كمال المثلث ان يكون متساوي الاضلاع .

اما الذي كان كمالاً للوجود ، فان صرف الوجود لا يعقل ان يدخل فيه النقص ، والالخرج عن كونه صرف الوجود ، وهو خلاف بديهة العقل وقانون الذاتية ، فلا بد عند تصوّر واجب الوجود أن ندرك انه كامل من جميع الجهات ، وأن له صفات ذاتية هي عين ذاته ، وليست زائدة عليه ، ولا خارجة عنه ، فكل كمال للوجود لابد ان يتصف به الواجب ، ولا بد ان تكون الصفات الكمالية عين الذات ، والا كانت الذات في حدّ ذاتها مجردة عن الكمال ، وهذا يدعو الى التساؤل : أيهما اكمل هل الذي صفاته عين ذاته اكمل أم الذي صفاته زائدة على ذاته ؟ طبعاً يحكم العقل بان الذي صفاته عين ذاته اكمل . فالذي يجب ان يتصف بجميع صفات الكمال لابد ان يكون متصفاً باكمل صورة من صور الكمال ، وحيث ان الكمال غير المكتسب اكمل من الكمال المكتسب ، فيجب ان يكون متصفاً بذلك الكمال الذاتي غير المكتسب ، لانه اذا دخلت أية صيغة من صيغ العدم في ذاته لم يكن واجب الوجود .



الدرس العاشر

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
الإحداثيات: ١٩/١١/١٩٦٦ م

خطواتنا في البحث الالهي

في بحثنا الالهي نخطوا خطوات ونجتاز مراحل :

١- الخطوة او المرحلة الأولى : في اثبات اصل واجب الوجود . انه قد ثبت بنفس بديهة العقل ان كل ممكن بحاجة الى علة ، فلا بد ان تنتهي الممكنات الى واجب لذاته ، واعترف بذلك الماديون ، ولكن اعتبروا الواجب هو : الطبيعة أو المادة ، وليس

النزاع في التسمية ، فهذه هي اللبنة الاولى لاثبات العقيدة الالهية بجميع فروعها ، وهذه البديهية العقلية تعني اعتقاد الانسان في صميم قلبه بان هناك علة ترجع اليه كل الاشياء ، أياً كان الاسم ، فكل عاقل مضطر الى الاعتراف بها وان جحدتهاً نفسه .
٢- المرحلة الثانية :

بعد ان ثبت ان هناك واجب الوجود ، لا بد ان يكون هو صرف الوجود ، أي يستحيل كونه ماهية ذات حدود ، لانه عندما يُحدّ لا يكون واجباً ، فالواجب لا يحدّ بحد يشوبه العدم ، والا فما فرضته واجباً يخرج عن كونه واجب الوجود . ونحن نبني آراء ناعلى بديهيات يؤمن بها الفرد في دخيلة نفسه ، وان غالط وتظاهر بانكارها أو التشكيك فيها . وهذه الخطوة الثانية تبنتني على فكرة اولية بديهية هي (قانون الذاتية) ، والخلف ، فقانون الذاتية بديهي ، بمعنى ان الشيء بما هو هو ولا يكون غيره ، والا لزم الخلف ، وهو مستحيل بديهة ، يعني ان ما فرضته واجباً مثلاً ليس واجباً ، يعني ان قانون الذاتيه بديهي ، ومخالفته مستحيل لانه خلف . فلو كان محدوداً لما كان واجب الوجود لذاته ، أي كان محتاجاً ، فاذا فرضته محتاجاً ، فقد فرضته ممكناً ، والممكن لا يكون واجباً ، اذن يجب ان يكون صرف الوجود ، ولا ماهية له ، فهو حقيقة الحقائق ، وأصل الاصول ، وهو الوجود المحض الذي لا يحدّ بحدود .

٣- المرحلة الثالثة :

بعد ثبوت ان هناك واجب الوجود ، وانه صرف الوجود ، ولا ماهية له ، فننتقل الى المرحلة الثالثة ، وهي وحدانيته ، لانه اذا ثبت انه صرف الوجود ، فلا بد ان يكون واحداً ، لان صرف الشيء لا بد أن يكون واحداً ، والا لم يكن صرف الشيء ، واذا كان عارياً من كل حد فلا يعقل ان يتعدد ، لان الاشياء انما تمتاز بالحدود .
شبهة ابن كمونه كالآتي :

لماذا لا يمكن فرض هو يتين متميزتين كل واحد منهما واجب الوجود ، واذا كان

ذلك جائزاً ، فلا بد أن يقع لان الجواز بالنسبة الى واجب الوجود لا بد ان يقع ، ولا يمكن إلا أن يقع ، ولكن هذا الفرض لاصحة له ، لان صرف الشيء لا يتكرر ولا يتعدد ، وحين يتعدد فانه يتحدد ، اي ان المتميزين لا بد انهما تميّزا بحد معين ، والا لم يتميّا ، يعني ان هذا يكون محدوداً بحد لا يحد به الآخر ، بل يحد بغيره ، فقد تركب كل منهما مما به الاشتراك وما به الامتياز ، وتبانيا لاجل الامتياز ، ولكل منهما حد يختلف عن الآخر ، فلم يكن كل منهما صرف الوجود ، لان صرف الوجود معرّئ من جميع الحدود ، فما فرضته صرف الوجود لم يكن صرف الوجود ، وصرف الوجود لا يعقل ان يتعدّد ، ومتى تعدّد كان محدوداً ومتى كان محدوداً خرج عن كونه صرف الشيء ، فما فرضته صرف الوجود لم يعد صرف الوجود ، فلم يعد واجباً ، وهذا من البديهيات ، ودليلها معها .

الدرس الحادى عشر

في مراحل البحث الالهي

الاثنين ٢٠/١١/١٩٦١م

استمراراً في المرحلة الثالثة نقول : هل ان الواجب الذي هو صرف الوجود حين نقول بانه لا بد ان يكون واحداً ، هل يلزم منه ان يكون الاله والخالق واحداً ، هل يصح ان يكون واجب الوجود واحداً ، ولكن غيره يفيض الوجود على المخلوقات ؟ الاسباب الطبيعية هل هي معطية الوجود لمسبباتها أم لا ؟ وهل معنى وحدة واجب الوجود أن مفيض الوجود واحد ايضاً ؟

نقول : اذا اقتنعنا بان واجب الوجود هو صرف الوجود ، فكل ما عداه ممكن لا استقلال له ، فما لا استقلال له في وجوده كذلك لا استقلال له في افاضة الوجود ، فلا بد ان يكون الفيض من واحد قَيوم ، يعني ان كل وجود الكون من فيضه ، فلا يعقل ان يكون في مقابل ذلك فاعل مستقل ، فنفس فرض واجب الوجود هو نفس فرض

وحدة الخالق ، فالقول بان الاسباب الطبيعية هي الموجدة قول بالتفويض . ونحن اذ نقول بالاسباب الطبيعية لا بمعنى ان منها الوجود ، بل بها الوجود ، وكل المخلوقات ترجع الى الله ، لا استقلال لها ، ولا انفصال عن قدرته وارادته ، لو كان في العالم إلهان لفسد العالم ، وهو مفاد قوله تعالى : «لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا» وهو ما يسمى بدليل التمانع . فوحدة واجب الوجود يلزمه وحدة مفيض الوجود ، فلا يعقل ان يكون له شريك في الخلق . فالتوحيد لا ينحصر في الاعتقاد بوحدة واجب الوجود ، وانه صرف الوجود ، بل هو تعالى واحد في خلقه وفيضه ، فكل الاشياء من فيضه ، وتجليات لنوره .

هناك برهان للقدماء على التوحيد وهو كما يلي :

العالم واحد فلا بد ان يكون الخالق واحداً ، فهناك تلازم بين وحدة الخالق ووحدة المخلوق وهو العالم ، بحيث لو فرض وجود عالمين لفرض وجود إلهين اثنين ، وهو مقولة : الواحد لا يصدر عنه الا الواحد ، اما قولهم بوحدة العالم ، فينبع من افتراضهم ان الارض في وسط الكون ، وان الكون منتهي الابعاد ، والعالم واحد لانه كرة - على ما تصوروا - فاذا كان هناك عالمان فالعالم الذي في جنب هذا العالم لا بد ان يكون كرة ايضاً ، وهاتان الكرتان لاتلتقيان الا في نقطة التماس ، فيلزم الخلاء بين نهايتي العالمين ، لعدم التماس التام بينهما ، والخلاء ممتنع على ما برهنوا عليه ، فاذن يمتنع ان يوجد عالمان ، واذن فالعالم واحد ، اذن الخالق ايضاً واحد ، هذا كله مبني على اشياء وهمية ، فتناهي الابعاد مبني على امتناع اللانهاية في العدد ، في حين ان براهينهم التي اقاموها على هذا الامر فاسدة واللانهاية الممتنعة انما هي لانهاية الاسباب والمسببات ، ولكن اللانهاية من حيث هي لا دليل على امتناعها . وبرهان التطبيق مبني على اشياء غير صحيحة ، لانه مبني على اشياء محدودة ، في حين ان اللانهاية غير محدود فكون العالم محدوداً ، وكونه كرة ، وكون العالم الآخر المفروض يلزم ان يكون كرة ، وامتناع الخلاء ، كل هذا مبني على أسس واهية وفاسدة ، لانقرها ،

ولا تستند الى أساس صحيح .

والمفارقات التي وقعت للبشر بسبب استعمالهم آلات شتى في غير مواضعها ، فألات الزراعة لا تستعمل في الطبابة ، ولا تقاس الاشياء كلها بمقياس واحد ، فألات الاسباب الطبيعية هو الحس ، وقد حاول القدماء اخضاعها الى النظر العقلي ففشلوا ، والعصريون لم يستعملوا الحس في مواضعه ، وحين يريدون اقحامه في ما وراء الطبيعة والمادة ، فانهم يفشلون ولا يصلون الى نتيجة صحيحة . في حين لا يمكن تحصيل المحسوسات عن طريق القضايا العقلية ، ولا يمكن معرفة غير المحسوسات عن طريق الحس . فالحسيون يقولون : ان مالا يناله الحس لاحقيقة ولا واقع له وان الميتافيزيقاشيىء باطل وهمي .

أين وجدانكم ؟ أين احساسكم الباطني ؟ أليست هناك قضايا أولية يدركها الانسان ، واليها ترجع كل القضايا ؟ حتى التجارب والاحكام الكلية والحسيات تستند الى قضايا اولية ، ولا يمكن ان تقوم تجربة بدون هذه الاوليات . هناك اشياء يدركها الانسان بالفطرة ، مثل معنى الكل والجزء ، والوجود والعدم ، والضرورة ، والامكان ، غاية الامران الطفل لا يدركها ، لانه غير ملتفت اليها ، وسيدركها بعد ان يقوى ادراكه ، وعندها يفهمها بلا واسطة ، ومن دون استخدام الحس فيها ، وهذا واضح .

الدرس الثاني عشر

السبت ٢٥/١١/١٩٦١م

خطوات البحث الإلهي

٤ - الخطوة الرابعة : في صفاته الكمالية

المشهور انهم يقسمون الصفات الى ثبوتية كمالية جمالية ، وسلبية تنزيهية جلالية . المهم هو اثبات الصفات كمالية او تنزيهية . الصفات الكمالية حصروها في ثمانية ، باعتبار انه جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : «ويحمل عرش ربك فوقهم

يومئذٍ ثمانية» فلا بد أنهم فهموا من هذا العدد أنه هو الصفات الثمانية كما أولها المتكلمون. واما الحكماء فقد أولوها بالافلاك الثمانية أو العقول الثمانية، لأن العرش عندهم يراد به الكون المخلوق .

و حين فرضوا أن يحصروا الصفات في ثمانية ، وحين بحثوا فيها وجدوها سبعة ، فاضافوا صفة التكلم ، ونشأ من ذلك فتنة في بعض عصور العباسيين أدت الى ازهاق ارواح وسفك دماء محرمة .

نقول : لاحاجة الى فرض أي عدد للصفات ، انما المهم ان يقال بان الله يجب ان يتصف باعلى صفات الكمال ، فاي صفة كمال للوجود بما هو وجود ، لا بد ان يتصف بها ، و صفات التنزيه كذلك ، لأنه اذا كان يتصف بكل كمال ، فلا بد أن يتنزه عن كل نقص يُتصور وجوده في المخلوقات الممكنة ، ولا يهمننا ان نثبت عدد الصفات الثبوتية والسلبية ، فلذلك نقول : انه تعالى لما ثبت انه صرف الوجود ، وانه واحد لا شريك له ، فلا بد ان يكون في اعلى درجات الكمال ، لانه محض الوجود ، ولا يمكن ان يدخل في ذاته شيء من النقص ، لان النقص عدم ، والعدم هو لا يخالط الوجود المحض ، لان محض الشيء يستحيل أن يدخل في حقيقته نقيضه ، لانه حين ينقص عن أي درجة كمال ، فمعناه انه ناقص ، وقد دخل في حقيقته العدم ، اذن لا بد ان يتصف بكل كمال للوجود باعلى مراتبه . فحقيقته بما انه صرف الوجود لا يمكن ان يدخل في حقيقته نقص ، فاذا دخل في حقيقته نقص كان محتاجاً لأن النقص حاجة ، وعلى هذا لا يصح ان يكون واجباً . فما فرضته واجب الوجود وصرف الوجود لم يكن كذلك . فنفس تصور محض الوجود وصرف الوجود هو تصوّر كماله ، فلا بد ان يتصف باعلى درجة من الكمال بحكم العقل . وليس كماله ككمال الممكنات ، لان الممكنات حقيقتها النقص والحاجة فكذلك صفاتها مهما بلغت من درجة قوة الوجود هي انزل من واجب الوجود ، ولا تقاس بواجب الوجود ، فهي صفات مستعارة كوجودها المستعار ، وهي ظلال وجود الله تعالى . فصفاته ليست

بالمعاني التي نفهمها في المخلوقات ، ولا شبه بينه وبينها ، ولا يشبهه شيء ، وليس كمثل شيء .

فيجب ان يتصف الواجب باعلى صفات الكمال ، فالوجود المحض يرافقه العلم المحض ، والقدرة المحضة ، لان واجب الوجود بما انه بالغ أعلى وجود ، لا بد أن يبلغ أعلى صفة . ومن هذا الاسلوب في التفكير والاستدلال اثبتت نظرية ملا صدرا في الحركة الجوهرية ، كل موجود بنفس ماله من الوجود على جانب من التحرك والتطور باتجاه الافضل وفيه شيء من الادراك والشعور ، لا بمعنى الشعور المعقد بل الشعور البسيط ، فكل الموجودات لها درجة من الحس على حسب استعدادها ضعفاً أو قوة ، واستشهد بهذه الآية : «وان من يشىء الا يسبح بحمده» . فالاشياء تسبح بالمعنى الحقيقي للتسبيح ، وهو الطاعة لله تعالى . فكل الاشياء بمالها من الوجود تشعر بوجودها ، وبعظمة خالقها بالشعور البسيط ، والحركة الجوهرية تعني حظاً من الحركة ، والحياة لكل الاشياء ، غاية الامر أن حياة كل شيء وحركته وشعوره يتناسب مع حظّه من الوجود ، وحياة الجمادات كالجبال التي نراها جامدة وهي تمرّمرّ السحاب . الحاصل أن حقيقة الوجود ترافقه هذه الحقائق : الارادة ، الحياة ، الشعور ، الحس ، القدرة ، وهذه الصفات ليست زائدة على الوجود ، بل هي نفس الوجود ، لا يمكن ان يكون الوجود المحض مجرداً عنها ثم يتحلّى بها ، بل معنى الوجود يعني هذه الصفات بالذات ، غاية الامر انه اذا كان الوجود قويا اصيلاً ، كانت الصفات قوية اصيلة . فالله تعالى حي بالحياة الحقيقية العليا التي ليس فوقها شيء ، فهو حيّ بذاته ، لان الوجود نفسه يقتضي ذلك ، فنفس الوجود بما هو وجود يقتضي هذه الصفات . فهو تعالى ، بما أنه حقيقة الوجود ، هو القدرة ، وهو الاختيار ، وهو العلم ، وهو الارادة ، باعلى ما يتصور .

الصفات على قسمين :

١ - المحمول بالضميمة كالفائم والقاعد .

٢ - صفات منتزعة من الذات كالحَي والمريد - والذي يتبادر الى الذهن من الصفات هي التي تكون محمولة بالضميمة ، وهي التي يتفاهم بها عرفياً ، ومقصود الامام أمير المؤمنين (ع) هو المعنى العرفي من الصفات ، وفي الممكن تكون الصفات مغايرة للذات «لشهادة كل موصوف انه غير الصفة» .

الباري تعالى هو الوجود ، وهو نفس الحياة ، فليست الحياة طارئة عليه ، فالصفات ترافق الذات ، وهي عينها ، وفي غيره تضعف وتقوى حسب قوة الوجود وضعفه . وهنا نستطيع ان نخطوا الخطوة الخامسة ، وهي عينية الصفات للذات . وأن صفاته عين ذاته .

الدليل الاول : على عينية الصفات للذات : انه متّصف باعلى درجات الكمال ، فانه اذا افترضنا أن صفاته زائدة على ذاته ، أو انها عين ذاته ، فاي الفرضين اكمل ؟ قطعاً ان عينية الصفات للذات اكمل ، أبيضية البياض اولى ، يعني ان اللون الابيض اولى بالاتصاف بالبياض من غيره ، وصفته منتزعة من ذات اللون الابيض ، فهو هو لاغيره اذن بعد ان علمنا أنه يجب ان يتصف بمنتهى كل كمال ، لان الدرجة التي دون الكمال الذي مافوقه كمال ، نقص وهو عدم لايتخلل الوجود المحض ، لان واجب الوجود اذا تخلله عدم (نقص) خرج عن كونه واجباً ، فيجب ان تكون صفاته عين ذاته ، واذا كانت الصفات زائدة على الذات لزم اشكال ، وهو تعدد القدماء ، وكون القدماء المتعددة ثمانية ، وهو قول ملّى بالشرك .
وكل هذه الادلة التي نسلکها أدلة لميّة .

ملاحظة :

الذاتي لايعلل في الممكنات منطبق ايضاً يعني ان بياض اللون الابيض ذاتي للون الابيض ، وهو لايعني انه خارج عن قدرته الله بل انما يعني انه مجعول بالجعل البسيط ، لا الجعل التأليفي ، فجعل الحياة - للانسان مثلاً هو بجعل الوجود جعلاً

واحداً لا يجعل آخر، وليست تعني القاعدة المتقدمة ان هذا الممكن حين استعملنا فيه هذه القاعدة أنه غير مجعول حتى بالجعل البسيط، ليتحول الى واجب، ولكن نفينا عنه فقط الجعل التركيبي الموجود في الممكنات.

الدرس الثالث عشر

عينية الصفات للذات

الاحد ١٩٦١/١١/٢٦ م

كان الحديث في عينية الصفات الثبوتية، وقلنا ان هذه هي الخطوة الخامسة. الصفات تنقسم الى صفات سلبية، وصفات ثبوتية، والثبوتية تنقسم الى صفات كمالية، وصفات اضافية، فالصفات الكمالية كالعلم والقدرة والارادة والحياة. والصفات الاضافية هي تُتصوّر بالاضافة الى مخلوقاته كالرازية والخالقية، مثل كونه خالقاً رازقاً مدبراً منعماً رحيماً، فهذه الصفات تسمى صفات ثبوتية اضافية، فحدثنا في عينية الصفات للذات ينطبق على الصفات الكمالية، اما الصفات الاضافية فلها حديث آخر.

وقد ذكرنا الدليل على عينية الصفات للذات وقلنا: ان الله لا يمكن ان يدخل في حقيقته العدم، فلو كانت صفاته زائدة زيادة حقيقية كما يزعم الاشاعرة، لكان ذلك مستحيلًا في حقه تعالى، لأن الذات حينئذ تكون مجردة عن كل كمال، هذا نقص يتنزّه الله عنه، لانه صرف الكمال وصرف الوجود.

وينسب الى بعض حكمائنا ان الصفات عين الذات لكنّها تتعدد بتعدد الحيثية في الذات، فوجود العلم نفس وجود الذات، فهو عالم من حيث ان الاشياء حاضرة لديه، وقادر من جهة اخرى، فنقول ان هذا ليس تصحيحاً لعينية الصفات للذات، ان وجود الصفات عين وجود ذاته غاية الامر ان حيثية الصفات غير حيثية الذات، يمكن أن نقيسه بالنفس، فالنفس وجودها وجود واحد، وصفات متعددة، فالصفات

موجودة بوجود النفس ، فهي واحدة بوجودها ، فالقدرة موجودة بحيثية غير حيثية كونه عالماً ، فالصفات عين الذات أي ليس لها وجود مستقل ولكن لكل صفة حيثية غير حيثية الصفة الاخرى ، ويقولون : ان هذا لا يلزم منه تعدد الذات ، لان الوجود واحد ، فظنوا أن تعدد الحيثية كاف لحفظ فكرة التوحيد بدون اية شائبة .

وبعضهم قال ان تعدد الصفات بتعدد الاعتبارات ، فالذهن يعتبر أنه تعالى عالم وقادر وحيي على نحو المجاز ، لانه اذا قلنا : إنها اشياء حقيقية يلزم تعدد واجب الوجود ، وتعدد الحيثيات أو الاعتبارات لا يحل الاشكال ، وينتهي الى تعدد الذات ايضاً .

فالاقوال في المسألة كما يلي :

١ - الصفات زائدة على الذات ، ولكنها لازمه لها ، أي واجبة الوجود ايضاً ، هذا قول الاشاعرة .

٢ - قول الكرامية بان الصفات زائدة على الذات ، ولكنها غير لازمة لها ، لانها لو كانت لازمة لكانت واجبة الوجود ، وحينئذ يلزم تعدد واجب الوجود .

٣ - وقول بان وجود الصفات نفس وجود الذات ، أي متحدة بالوجود مع تعدد الحيثية ، كتعدد حيثيات صفات الانسان ، فالنفس في وحدتها كل القوى أي وجوداً .

٤ - وقول بان هذا التعدد اعتباري ، اي ليس هناك تعدد في الوجود ولا في الحيثيات ، وانما يعتبرها الذهن ، ومنشأ الاعتبار هو نفس الذات . فهذه الاقوال جميعاً لا نرتضيها ، لانها كلها غير صحيحة ، وانما نشأ الخلط في دقة النظر في فهم عينية الصفات للذات .

الاشاعرة لم يفهموا معنى عينية الصفات للذات ، وظنوا ان معنى ذلك انه تعالى لاصفات له ، والكرامية قالوا : إن الصفات لو كانت ملازمة للزم تعدد واجب الوجود ، والقائلون بتعدد الحيثيات قالوا بأن هذا لا يثلم عقيدة التوحيد ، والقائلون بالاعتبار

فالأقوال في المسألة كما يلي ١٠١

قالوا: إن القول بتعدد الحثيات غير معقول .

والعجيب من الشيخ الصدوق في تفسير الصفات الثبوتية من القصور في فهم عينية الصفات للذات ، فتصوّر أنها ترجع الى امور سلبية ، وفي نظره يمكن تصور انطباق عدة سُلُوب على موضوع واحد ، فهو يذكر في عقائده ان معنى ان الصفات الثبوتية عين الذات ، هو باعتبار انها ترجع الى السلب ، فمعنى الحياة هو عدم الموت ، ومعنى العلم عدم الجهل ، ومعنى القدرة عدم العجز ، فهذه سلُوب يمكن انطباقها على ذات واحدة . فتبيّن من هذا الكلام أن الله تعالى هو مجموعة سلُوب . نحن نحترم الشيخ الصدوق كمحدّث وناقل فاذا تحدث عن مثل هذه الامور ، فلا نقبل آراءه . فنحن نريد ان نقول ، انه لا تعدّد حقيقي ولا من حيث الحثية ولا تعدد اعتباري ، لان التعدد من ناحية الاعتبار ومن ناحية الحثية لاقيمة له ، فالفكرة التي نؤمن بها يعرب عنها الفارابي بقوله : «هو عالم من حيث قادر وقادر من حيث هو حي ، وحي من حيث هو عالم» . إن هذه الصفات ليس فيها تعدد حقيقي ، ولا تعدد حثية ، لان جهة العلم ليست غير جهة الحياة . فالتعدد الذي نتصوره هو بالمفهوم فقط ، ولا نقصد بالمفهوم المعنى الانتزاعي الذي لا يحكي عن حقيقة ، بل نقصد المفهوم الذي يحكي عن حقيقة ، وتعددها عين وحدتها . مرة تقول ان هناك ماهيات متعددة موجودة بوجود واحد ، وهذا هو القول بتعدد الحثيات ، ويترتب على هذا أن لا يكون الله صرف الوجود ، ويلزم ان تكون له ماهية ، فصار مركباً وناقصاً ومحدوداً ، ولكن الله هو صرف الوجود ومحضه ، ولا يعقل ان نفرض فيه حثيات متعددة ، حتى لو كان لها وجود واحد خارجي ، ففرض واجب الوجود مع تعدد الحثيات ، يجعله ممكناً ذا ماهية ، فيخرج عن كونه صرف الوجود ، وواجب الوجود . اذن يمتنع ان تكون له حثيات زائدة على الذات ، حتى لو اتحدت في وجودها . ومعنى التعدد الاعتباري أنه شئىء ينتزعه الذهن وليس له واقع خارجي ، بل لقلقة لسان ليس وراءها شئىء . نحن نقول : انه عالم من حيث هو قادر ، وهي

حيثيات واقعية ، ولكن لا بمعنى أن لها وجودات مستقلة ، بل بمعنى ان نفس الوجود هو بنفسه العلم ، وهو بنفسه القدرة ، لا أن القدرة موجودة بذلك الوجود لتكون حيثية مقابلة لتلك الحيثية ، فهذه الصفات وان كانت حقيقية وواقعية ففي عين تعددها هي واحدة ، وتعدد هذه المفاهيم يكشف عن معنى حقيقي ، ولكن ليس هناك تعدد حتى بالمعنى ، وهذا العمق في هذا القول هو الذي غاب عن افكار اصحاب الاقوال السابقة .

اما القول بالاعتبار الذي معناه ان الصفات لا واقع خارجي لها ، فنحن نعتبر هذا الكلام غير صحيح لان الله تعالى وصف نفسه بانه عليم حكيم قادر . هو محض القدرة والعلم والحياة ، لا أنه ذات لها القدرة والعلم والحياة ، ولكن هذه الصفات متغايرة بالمفهوم الذي يفهم منه لدى الذهن ، لأنها الفاظ غير مترادفة ، فتغايرها اعتباري مفهومي فقط ، فلا تغاير في الصفات وجوداً ، ولا من حيث الحيثية ، ولا تعددها اعتباري كما ذكروا ، بل هناك تعدد مفهومي يحكي عن حقيقة هو كل الحقائق .

قال امير المؤمنين (ع) ، فمن وصفه فقد عدّه ...

أليس هو قد وصفه بصفات كثيرة ؟ ولكنه يعني أن من وصفه بصفات زائدة على الذات فقد عدّه ، اذا كان الواصف يتصور حيثيات مغايرة للذات ، وهي الصفات المتعارفة المحمولة بالضميمة ، فامير المؤمنين يريد بكلامه هذا نفي الوصف بحيثية زائدة عن الذات ، بحيث يوجب تعدد الذات وتعدد القدمات ، ويخرج عن كونه واجب الوجود . وحين يقول (ع) : «ومن قال فيم ... ومن قال علام ... ومن قال أين ... الخ» فهو يعني ان من يسأل عن مكانه وزمانه ومبدئه ومنتهاه فقد ارتكب إثماً مبيناً ، لأن هذه الاسئلة تصح اذا كانت له ماهية مركبة محتاجة ممكنة ... وكلمات الأئمة ائمة الكلام .

شرح كلمات امير المؤمنين (ع) في خطبة التوحيد ١٠٣

الدرس الرابع عشر

شرح كلمات امير المؤمنين (ع) في خطبة التوحيد الاثني عشر ١١/٢٧/١٩٦١ م
قال امير المؤمنين (عليه السلام):

أول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيد
وكمال توحيد الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل
صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة ، فمن وصف الله
سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله ،
ومن جهله فقد اشار اليه ، ومن اشار اليه فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن قال فيم
فقد ضمّنه ، ومن قال علام فقد أخلى منه ، كائن لاعن حدث ، موجود لاعن عدم ،
مع كل شىء لابقارنة ، وغير كل شىء لابقائلة .
« كمال الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به » .

هذا تدرج في معرفة الله تعالى ، فلا دين اذا لم يبتن على معرفة الله . أصول الدين
اولها وقبل كل شىء معرفة الله تعالى ، لكن أي معرفة ؟ المعرفة العامة ، لكن كمال
المعرفة التصديق به ، فالمعرفة الاولى المعرفة التصورية ، يتصور ان هناك الها واجب
الوجود ، ثم يترقى ذلك التصور ، فيتحول الى تصديق ، وهذا هو اصلنا العلمي الذي
ارتكزنا عليه ، اذ قسمنا الاشياء والموجودات الى ممكن وواجب ، فالمرحلة الاولى
أن نتصور ان هناك واجب الوجود ثم ننتقل الى التصديق ، لان الممكن لا بد ان يرجع
الى الواجب ، لان كل ما بالعرض لا بد ان يرجع الى ما بالذات ، فاذا كان كل من في
الوجود على نحو الامكان فكيف وجدت الاشياء ، فلا بد للمجاز من حقيقة ،
فالتصديق بواجب الوجود ينبعث من نفس تصور ان هناك واجب الوجود .

فقال (ع) : « كمال الدين معرفته » وكمال الشىء يعني القسم المتطور فيه الذي
لا يضاف اليه شىء ، يعني معرفة ثانية تضاف الى المعرفة الاولى فهي بنفسها تترقى

والتصور بنفسه يترقى فيكون تصديقاً ، فمن نفس هذه الفكرة وهذا التقسيم الى الممكن والواجب نترقى الى الاعتراف او التصديق بواجب الوجود .
(وكمال التصديق به توحيده) .

لانك اذا صدقت بواجب الوجود ، فلا بد ان يكون تصديقك به على اساس أنه صرف الوجود ، فلا بد ان يكون واحداً ، لان صرف الوجود لا يعقل ان يتعدد . فهذه المعرفة التصديقية بواجب الوجود بنفسها تكمل وتكون الاعتراف بعقيدة التوحيد بواسطة البديهيات ، وهو ترقى في العقيدة - وليس عقيدة ثانية .
(وكمال توحيده الاخلاص له) .

والفكرة العامية للاخلاص هو الاخلاص بالعبادة ، ولكن هذا المعنى لا يترتب على ما قبله ولا ينسجم مع ما بعده - فالاخلاص يعني تنزيهه من كل النقائص ومن كل شىء يقدح في كونه واجب الوجود ، فهو اعم من الاخلاص في العمل والعبادة - فالتوحيد لا يكون توحيداً حقيقياً إلا اذا وحدته من جميع الجهات في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته ايضاً - فالاخلاص له يعنى التوحيد من جميع الجهات ، وتنزيهه عن الشريك من جميع النواحي ، فلذا قال :
(وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه) .

لانه مع اثبات الصفات بالمعنى العرفي المتداول يكون القول بتعدد الشركاء على عدد الصفات . فالاخلاص في التوحيد إنما يكون في تنزيهه عن الصفات الزائدة عن الذات التي تجعل مقابل الذات ، ولا يكون توحيد إلا مع نفي الصفات الزائدة عنه ويكون هذا قمة الاخلاص بدليل قوله (ع) :

(لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة) .

يعني اذا كانت الصفة غير الموصوف ، فبذلك يتعدد الواجب ، سواء قلنا بتعدد الوجود للصفات ، أو بوحدة الوجود مع تعدد الحثيات ، فلا بد من نفي الصفات عنه .
قال (ع) (فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه) .

شرح كلمات امير المؤمنين (ع) في خطبة التوحيد ١٠٥

لانه اذا وصفه فقد قرنه بغيره في وجوب الوجود .
(ومن قرئته فقد ثناه) .

اي قال باكثر من واجب الوجود ، بل قال بالتعدد على عدد الصفات ، لان الصفة العرفية الزائدة على الذات تستدعي التعدد ، واما الصفة المنتزعة من نفس مقام الذات فلا تستدعي التعدد .
(ومن ثناه فقد جزأه) .

يعني اذا قال إنه اثنين فقد قال إنه مركب ، اي يلزم من التثنية التجزئة ، أي ان التثنية تجعل كل طرف جزءاً ، نفس التثنية تستدعي تجزؤ كل واحد منهما ، أي لا يمكن ان تجمع بين حقيقتين بسيطتين مع كونهما بسيطتين ، والاعتراف بان الحقيقة بسيطة من جميع جهاتها لا ينسجم مع اضافة حقيقة بسيطة اخرى اليها . نقول : لا يمكن ان يكون بسيط الحقيقة الا واحداً ، ولا يعقل ان يكون له ثانٍ ، وحين يكون له ثان يخرج عن كونه بسيط الحقيقة ، ويلزم ان يتعدد ويتركب .

الكلام في ان التثنية توجب التجزئة نقول : هذا واضح لان معنى التثنية ان هذا غير هذا ، ان كل اثنين متباينين فاحدهما غير الآخر ، والا لما صارا اثنين ، فكل منهما يصدق عليه أنه غير الآخر ، والمفروض أن كلاً منهما أمر وجودي ، وهذا بديهي ، وهذا هو مقتضى التثنية . فالتثنية معناها التجزئة لكل منهما لأنه عندما نقول : ان (أ) غير (ب) معناه أن (أ) نفس حيثية انه ليس (ب) وهذا غير معقول لان كلاً منهما حسب الفرض امر وجودي ، وهذا القيد عدمي ، فيلزم ان يدخل في ذاته العدم . لما كان كل من (أ) و (ب) امرين وجوديين ويصدق ان (أ) ليس (ب) ولا منتزعاً من مقام (ب) فلا بدان يكون (ب) منتزعاً من حيثية وجودية اخرى ، فيكون كل منهما محدوداً بأمر عدمي ، ولا يكون هو صرف الوجود ، اذن لا يعقل التباين بينهما مع الاعتراف بان كلاً منهما هو صرف الوجود ، فلا يعقل ان يكون (أ) غير (ب) الا اذا حددت (أ) بحدّ عدمي ، والمفروض أن كل واحد منهما أمر وجودي . ولما انتزعت

من (أ) انه ليس (ب) فقد فرضته محدداً بحدّ عدمي ، فينقلب الواجب الى ممكن .

الدرس الخامس عشر

شرح كلمات اميرالمؤمنين في التوحيد السبت ١٢/٢/١٩٦١ م
 وبيان آخر نقول : إن نفس الوجود لا يمكن الا ان يتصف بهذه الصفات ، فالوجود هو الحياة ، وهو القدرة ، فاذا لم تكن قدرة لم يكن وجود ، واذا لم تكن حياة لم يكن وجود . كل موجود فيه حظ من الحياة والقدرة والعلم بالمعنى البسيط ، فالذرات المتحركة لولم تكن عالمة بنفسها بالعلم البسيط لما تحركت ، وكذلك حركة الدم والقلب والمعدة لولم تعلم بذاتها لما تحركت ، غاية الامران الانتباه لهذا العلم لا يكون الا للموجودات العالية كالانسان والملائكة والجن ، ممّن يعلم بعلمه ويشعر بشعوره ، والعلم البسيط يعني انه يعلم ، ولكن لا يعلم انه يعلم ، فالعلم المركب هو العلم بالشيء ، والعلم بانه يعلم . فنفس الوجود يقتضي ان يكون متصفا بهذه الصفات .
 (ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزّاه) .

يفهم من هذا الكلام ان الثنية هي التجزئة بلا واسطة ، فانه اذا كان هناك إلهان ، فيلزم ان يشتركا بجهة جامعة ، ويفترقا بجهة مميزة ، فيلزم ان يكون كل منهما مركباً . وهذا الدليل لا يحتاج الى واسطة في الاستدلال ، لأن الثنية نفسها توجب التجزئة بدون واسطة ، ولو كانت هناك واسطة لبيّنها الامام ، فنفس كونهما اثنين يوجب تركيب كل واحد منهما ، لا أن الثنية توجب شيئاً وذلك الشيء يوجب التجزئة ، بل ان نفس الثنية توجب التجزئة فهو قد رتب الامور المذكورة ترتيباً ، فجعل التوصيف تقريناً والتقرين ثنية وثنية تجزئة بدون واسطة .

معنى الثنية ان يفرض كل من الاثنين موجوداً كامل الوجود واجب الوجود ، فنقول : ان سلب شيء كامل الوجود عن شيء آخر لا بد ان يكون لجهة عدمية ، والا

شرح كلمات امير المؤمنين في التوحيد ١٠٧

لما صحح السلب ، وتوضيح ذلك : أن مقارنة الشيء بأشياء اخرى مرة تكون مقارنة بشيء دونه أو بمساو له أو بأعلى منه ، حينما ينسب الانسان الى الفرس مثلاً ونقول : ان الانسان ليس بفرس وهذه اللىسيّة منتزعة من كمال الانسان زيادة على الفرس ، وان هذا الانسان يحتوي على كمال لا يحتويه الفرس ، جملة : الانسان ليس بفرس يعني : ان الانسان ليس بدرجة النقص التي للفرس ، تعني هو اكمل من الفرس ، فبقياس وجود الانسان الى وجود الفرس صح ان تنفي الفرس عن الانسان ، وتنفي الانسان عن الفرس ، فمنبع هذا السلب هو الكمال الوجودي للانسان ، واذا قلنا ان الفرس ليس بانسان فمن جهة ان الفرس لم يبلغ درجة الكمال الموجودة في الانسان ، فلذلك صح سلب الانسان عن الفرس ، أو سلب الفرس عن الانسان ، فمعنى ذلك ان الفرس اتصف بامور عدمية ، وان كماله لم يبلغ الكمال الموجود في الانسان ، وهذا السلب ليس منبعثاً من الفرس ، بل هو من جهة عدمية ، فهناك حيثتان حيثية وجودية موجودة للفرس وهي لا تستدعي سلبها عن الانسانية ، وانما الذي يستدعي ذلك هو نقصان درجة الفرس عن الانسان . فاذن في الفرس جهتان : جهة وجود وكمال لائق بها ، وجهة نقصان عن الكمال الموجود في الانسان ، والسلب ليس منبعثاً من وجود الفرس ، والا كان الفرس اكمل من الانسان ، بل صحّ سلب الانسانية عن الفرسية لجهة النقص في الفرس ، وليس من جهة وجود الفرس ، فجهة النقص هو المصحح لسلب الانسانية عن الفرس ، في حين ان المصحح لسلب الفرسية عن الانسان كان منبعثاً من كمال وجود الانسان ، وسلب الفرس عن الانسان كان منبعثاً عن نقصان الفرس عن الانسان ، فاذن السلب ليس دائماً منبعثاً من النقصان .

فالنسبة بين وجودين كاملين واجبي الوجود ، حسب الفرض -قوامها التباين ، فاذا كان بينهما تباين وكلاهما كاملاً واجبا الوجود ، فاحدهما يتصف بانه هو وليس غيره ، هذا معنى الاثنينية ، فمعنى ذلك أنه اتصف بالنقصان فجهة السلب هو جهة فقدانه للكمال الذي في الآخر ، فصار مركباً مما به الاشتراك ومما به الامتياز -فنفس

الاثينية تقتضي تجزئة كل منهما ، أي فرض ان له جزءاً وجودياً وجزءاً عدمياً ، لانه فاقد للكمال الذي في الآخر ، فكل شيئين اذا نسب احدهما الى الآخر لا بد ان يكون في كل منهما جهة كمال في نفسه وجهة نقصان عن الآخر .
واذا قال شخص بوجودين كاملين واجبي الوجود فقد قال بتجزئة كل منهما ، لأن كل واحد منهما فيه جهة وجود وجهة سلب ، لان احدهما غير الآخر .

الدرس السادس عشر

الأثينية توجب التجزئة الاثينين ٤/١٢/١٩٦١ م

تحدثنا في الدروس الماضية عن الخطوات في معرفة الله ، وأن الخطوة الاولى هي معرفة واجب الوجود ، كما ذكر مولانا امير المؤمنين (ع) : اول الدين معرفته ، ثم تاتي المراحل الاخرى ، وأنه صرف الوجود ، وان إنيتته ماهيته ، وان لا ماهية له ، وكل هذه الابحاث بينها على امور وجدانية واضحة ، فمبدؤها معرفة العلة ، وان الممكن لا بد له من واجب الوجود لذاته ، لان ما بالعرض لا بد ان ينتهي الى ما بالذات ، لأنك عند ما تفرض انقسام الموجودات الى واجب وممكن ، فالممكنات ليس لها الوجود الذاتي فوجودها عرضي اذن . ومن ينكر أن هذا بديهية عقلية ينكر وجدانه ونفسه ، ولا كلام لنا معه ، فنحن ندرك ان الممكن بما هو ممكن لا اقتضاء له للوجود ولا للعدم ، وكيف يوجد اذا لم ينته الى واجب الوجود ؟ والمجاز لا بد ان ينتهي الى الحقيقة ، حتى السلسلة غير المتناهية من الموجودات أي لا نهائية فرضتها في الكون - وتصور اللانهائية امر ممكن - إلا اللانهائية في العلل فلا تتصور ممكنة ، هذه السلسلة لا بد أن تنتهي الى علة العلل والعلة الأخيرة ، وهو واجب الوجود ، لان كل العلل الطبيعية ممكنة ، فمن اين فرضت لها الوجود ؟ والماديون يعترفون بهذه البديهية ، وان انكروها بالسنتهم ومقالاتهم ، فهم لا ينكرون فرض (كذا) واجب الوجود وراء

الاشياء الممكنة . والبديهية العقلية تدعونا الى الجزم بان الاشياء لا يمكن ان توجد بلاعلة ، قانون العلية وضرورة وجود واجب الوجود وراء الممكنات ، كل هذا هو الاساس الذي تبنى عليه عقيدتنا في اثبات واجب الوجود وتوحيده . واذا اعترفنا بان هناك واجب الوجود ، فلا بد ان تُنفى عنه الماهية لانها تحدّه ، ويدخل في حقيقته العدم ، ويحتاج ، فيفتقر في ذاته ، ولا يكون غنياً في ذاته ، إلا اذا كان مطلق الوجود ، ولا يحده حد . توجد غيرية بين الله وبين مخلوقاته لكن لا بمعنى الغيرية التي توجب حدوداً وانفصلاً ، فهو غير كل شىء لا بمباينة ، على حد تعبير امير المؤمنين (ع) ، لانه اذا كان محدوداً يكون محتاجاً ، ولذلك نقول : التثنية توجب التحديد ، والتحديد يوجب التجزئة ، يعني تكون فيه جهة عدمية ، فيكون محتاجاً الى الكمال ، كل النقائق ترجع الى شىء واحد وهو الامكان ، والامكان هو عدم الضرورة ، وسلب العدم هو ايجاب ، لان سلب السلب ايجاب ، وهذا الايجاب يعني الضرورة ويعني الكمال .

سلب الاشياء الممكنة عن الله تعالى هو عين التوحيد ، يعني نسلب عنه حدودها العدمية ، سلب السلب ايجاب ، وليس هو سلباً للوجود ، والسلب للوجود هو الذي يوجب التثنية والتجزئة ، وسلب الممكنات عنه ليس معناه سلب الوجودات ، بل سلب الحدود العدمية ، ومن كمال وجوده ان نسلب عنه النقائق ، بماهي ناقصة هي غير الله تعالى ، فالغيرية حقيقية . ووحدة الوجود التي يقول بها بعض المتصوفة كلام فارغ ، لانه بمقتضاه تكون المخلوقات هي الله تعالى ، فنحن نقول بتعدد الوجود والموجود ، وياتحاد الوجود والموجود بالشكل الذي بيناه ، وبما ينسجم مع عقيدتنا في التوحيد . فاذا قطعنا النظر عن الخصوصيات ، فلا موجود ولا وجود الا الله ، واذا نظرنا الى الخصوصيات فالموجودات متكثرة ، فنحن اذ نبطل كلام المتصوفة نقصد : انه لا واجب بذاته الا الله ، ولا موجود بذاته الا الله تعالى ، والمخلوقات متباينة بحدودها وخصائصها ، وليست متباينة بوجودها . نور الجدار

نور بلا مجاز ولا تجوّز، ونور الشمس نور بلا مجاز ولا تجوّز، بلا زيادة في نور الشمس أو نقصان منه، فالنور في الشمس نور حقيقة وفي الجدار نور حقيقة بلا مجاز في اي منهما، فواجب الوجود لذاته هو كل الاشياء، وهو مع الاشياء، وهو اقرب اليها من حبل الوريد، ولكن النور أولى ان يضاف الى الشمس لانها هي علة النور، وكل شىء يضاف فاضافته الى العلة اولى من اضافته الى المعلول، فمن نقصان نور الجدار يقال إنه نور الجدار، لا بما هو نور الشمس. قلنا ان الصفات السلبية تتلخص في نفي صفة الامكان عنه تعالى، والامكان هو سلب الضرورة، وسلب السلب ايجاب، لا يمكن ان يتصف الله بالسلب لان ما هو صرف الوجود لا يعقل ان يدخل في حقيقته العدم الذي هو نقيضه، والامكان صرف الوجود، فهو اذن لا يعقل ان يتلبس باية صفة عدمية، والصفات السلبية ليست سلباً للكمال الموجود في شىء آخر ولا يلزم منها الإثنية ولا التجزئة، وانما هي سلب نقائص، وسلب السلب ايجاب، فسلب الجسمية والحركة في الحقيقة ترجع الى سلب النقائص وسلب الحدود الممكنة، ومبعثها صفة الامكان، والامكان هو سلب الضرورة، وسلب السلب ايجاب، فسلب صفة الامكان والممكن عنه هو كماله، ويستحيل ان يتصف بصفات عدمية فيها نقص. ولذلك نتعجب من قول الصدوق، حيث ارجع الصفات الثبوتية الى مجموعة سلوب، لعدم تعقله ان الصفات الكمالية هي عين ذاته، ولم يرفي ذلك ثلماً للوحدانية.

السلوب قد تكون سلب كمال، ولا يعقل ان يتصف بأي صفة سلبية من هذا القبيل، لأنه يلزم منه التركيب والتجزئة والحاجة، ولكن السلب الذي يصح اسناده اليه انما هو سلب النقائص، وهو يرجع الى سلب السلب، وسلب السلب ايجاب كما يقولون.

فالمراحل التي خطونهاها سبعة :

١ - انه موجود ٢ - انه صرف الوجود ٣ - انه واحد لا يتكرر لان حقيقة الوجود والحقيقة وصرف الشىء لا يتكرر ٤ - انه لا بدان يتصف بجميع صفات

في علمه تعالى ١١١

الكمال ٥- ان صفاته عين ذاته ٦- الكلام في الصفات السلبية ٧- وجاء الآن دور الكلام عن الصفات الكمالية من قبيل العلم والقدرة والحياة ، وعليها تركز عقيدتنا في التوحيد ، ويفترق فيها اهل التوحيد عن الملحدين ، فالملحدون يعترفون بواجب الوجود وان انكروه باقوالهم ، يعترفون بان هناك وراء الكون واجب الوجود ، فبعضهم يسميه مادة ، وبعضهم يسميه طبيعة ، بعضهم يسمية دهرأ ، لكن اولئك يغفلون عن خواص واجب الوجود .

الدرس السابع عشر

في علمه تعالى
الاثنين ١٢/٢٥/١٩٦١ م
ان الله تعالى يجب ان يكون عالماً بذاته وبجميع الاشياء التي دونه ، أي عالم بمعلولاته لان كل مادونه معلول ومخلوق له ، ومن فيض وجوده ، ولا يمكن ان يخرج شئىء عن سلطانه ، لانه لا يمكن ان يفرض شئىء في قبالة ، شئىء مستقل الوجود- والالزم تركيب ذاته من وجود وعدم ، لانه لو كان هناك شئىء مباين له لكان يجب ان يدخل في ذاته العدم ، في حين انه صرف الوجود ، ويستحيل ان يتصف بصفة عدمية حقيقة . الذات الموجودة اذا كانت مباينة لذات اخرى موجودة ، فلا بد ان يكون وجودها مباينا في حد ذاته للذات الاخرى ، أي ان هذا اللبسيّة والغيرية تنتزع من نفس مقام الذات وتكون (أ) من حيث هي ليست (ب) فلا بد ان التغاير من فقدان (أ) للوجود الذي (ل) (ب) لانها ان كانت واجدة له ما كانت مباينة لها ، فيلزم ان يدخل في حقيقته العدم ، وهو محض الوجود ، ويستحيل ان يدخل في حقيقته العدم ، فلا يعقل ان تكون اي ذات مباينة لذات الله تعالى بمعنى ان يكون هناك غيرية حقيقية بينهما ، فهو مع كل شئىء لا بمقارنة وغير كل شئىء لا بمزايلة ، فلو كان غيرها بمزايلة لكان فاقداً لمزيتها ، وكان داخلاً في حقيقته الفقدان والعدم ، فلم يكن صرف

الوجود ، ومن ثم لم يكن واجب الوجود ، فما كان صرف الحقيقة لا يعقل ان يدخل في حقيقته عدم تلك الحقيقة فما فرضناه واجب الوجود لم يكن واجب الوجود ، وهذا ليس معنى عرفانياً ، بل يرجع الى امر بديهي يفهمه كل انسان ، وهو قانون الذاتية ، وهو أن الشيء هو هو لا يكون غيره ، وهو من الامور التي يحكم بها الانسان بمجرد تصور طرفيها ، مثل الكل اعظم من الجزء ، ومثل قانون التناقض والذين يشكون في ذلك ، انما يشكون بانفسهم وبتجاربهم وعلومهم ، فهذا الكلام أي الكلام في الالهيات بالمعني الاخص - نحن نبنيه على البديهيات الاولية ، وأولى البديهيات هو قانون الذاتية . مسألة (وحدة الوجود) مسألة مفهومة بشكل مشوّه جداً . وان الحقائق تشوّه من جزاء التلاعب بالالفاظ ، فوحدة الوجود بمعنى اتحاد الخالق مع المخلوق واتحاد الممكن مع الواجب ، هذا شيء مستحيل ولا يمكن ان يكون المخلوق خالقاً أو الخالق مخلوقاً ولا يمكن ان يتصوره عاقل ، واذا اريد من تعدد الوجود هو تعدد حقيقة الوجود على ان تكون هناك وجودات مستقلة ، فيلزم منه تعدد واجب الوجود . وهذا مستحيل ان كانت المخلوقات لها بينونة مستقلة فلا يكون الله تعالى صرف الوجود ، بل نقول : إنه تعالى اقرب الينا من جبل الوريد ، كما جاء في القرآن ، وكل المخلوقات في تصرفه وفيض قدرته ، فهو مع الاشياء لابمقارنة ، بحيث يكون هناك اتحاد بينهما ، فهذا محال . واذا كان غير كل شيء على نحو المزايلة ، فيلزم ان يتصف بصفات عدمية ، وتكون المزايلة بينه وبين المخلوقات كالمزايلة بين بعض المخلوقات وبعض ، والله تعالى هو اللانهائية المحضة لا يمكن ان يحدّ بحدود . إن الله تعالى في عين كونه عين الموجودات فان كل الموجودات مغايرة له ، اي ان الوحدة عين الكثرة والكثرة عين الوحدة ، ويرشدنا الى ذلك كلام الامام ، وهذا شيء لانستطيع ان نتصوره ولا أن نتمثله ونهضمه ، لان المتناهي لا يمكن ان يدرك اللامتناهي ، «وكل ما تصورتوه في اذهانكم بأدق معانيه فهو مخلوق لكم مردود عليكم» وغاية ما نفهمه هو ان الله تعالى خالق و متصرف ، وانه أمرنا بأوامر ،

في علمه تعالى..... ١١٣

ويجب علينا اتباعها ، أما كيف عمله ؟ وكيف وجوده ؟ وكيف يفيض الوجود على الكائنات فلا نستطيع ان نتمثله لانه لامتناهٍ ، ونحن لانستطيع ان نعلم الا بمقدار مالنا من الحدود المتناهية ، فنقول باتحاد الوجود والموجود في عين تغاير الوجود والموجود بلا تناقض ، فالنفس علمها معلول لها ، فهو غيرها ، وفي عين الوقت هو ذاتها . فهو معلول لها متحد معها ، وهو عينها فهو غيرها من ناحية الصدور، وذاتها من ناحية أنه كمال لها ، فعين التغاير هو اتحاد ، فليس علم النفس بالاشياء هو بمقارنة ، أي ليس شيئاً قرنته الى شىء ، وهو غيرها لا بمزايلة أي لا بانفصال ، والنفس تكمل بالعلم ، ولكن الله تعالى لا يكمل بمخلوقاته ، فاذا كان مع كل شىء بمقارنة ، هذا مستحيل ، لان حدود الممكن تكون نفس حدود الواجب ، واذا كان غير كل شىء بمزايلة بمعنى مزايلة الاشياء لخالقها ، فمعناه ان ما كان خالقاً لم يكن خالقاً ، وما فرضته موجداً لم يكن موجداً ، وما فرضته واجب الوجود لم يكن واجب الوجود ، فقولنا هو أمر بين الوحدة والتعدد لا وحدة ولا تعدد ، لا وحدة بحيث يكون الوجود واحداً والموجود واحداً . ولا تعدد بمعنى المغايرة والانفصال ، بل هو حد وسط .

الله تعالى يجب ان يعلم بالاشياء لانه خالق ، ولأنه كامل الوجود وصرف الوجود فلا بد ان يكون صرف الكمال ، والجهل نقص فلا بد ان يكون عالماً . واما كيف يعلم بالاشياء فهذا شىء وقع فيه الخلاف .

١ - يقول ابن سينا : انما يكون علم الله تعالى بالارتسام ، فلذا ينكر علم الله تعالى بالجزئيات ، كالصانع عندما يريد ان يبني بيتاً فيتصوره ، ثم يخلق على طبق ما تصوّره ، فالله عند ما خلق الانسان تصور خريطته مثلاً وخلقها ، وهذا مذهب الفارابي وابن سينا .

٢ - الاشراقيون يقولون : ان الله تعالى عالم بالاشياء علماً حضورياً من ازل الازلين .
٣ - رأي المعتزلة : المخلوقات ثابتة في علم الله تعالى في الازل ثابتة بعلمه ثم توجد ، غاية الامر أنها توجد بزمانها .

٤- المتصوفة يقولون : انها موجودة في أفق نفسه وأفق ذاته .

وسئل الشيخ المظفر عن الفرق بين قول المتصوفة والاشراقيين ، فاجاب بان الاشراقيين يقولون : إن الموجودات هي علم الله تعالى ، وان الاشياء الخارجية هي موجودة لله تعالى ، والمتصوفة يقولون ان الاشياء لها وجودات عينية في علم الله تعالى قبل وجودها الخارجي .

الدرس الثامن عشر

علم الله تعالى

الاحد ٣١/١٢/١٩٦١ م

نعم فالله تعالى يجب ان يتصف بالعلم ، لانه كمال بل من افضل الكمالات وعدمه عدم محض ، فلو كان الغني بذاته لا يتصف بالعلم ، لكان ناقصاً ، ودخل في ذاته العدم ، وما كان كامل الوجود من جميع الجهات لا يعقل ان يدخل في ذاته العدم. هذا هو البرهان الحقيقي لوجوب اتصاف الواجب تعالى بجميع صفات الكمال ، ومنها العلم، ولاشك أن العلم كمال للموجود، وهو أمر وجودي، وليس عدمياً كما تصوروا. أما الاستدلال بأدلة أخرى كما قيل من ان معطي الشيء لا يمكن ان يكون فاقداً له ، ففيها بعض المناقشات التي لا يسعنا ذكرها ، ولكن كفانا هذا البرهان اللمّي .

بقي أن نرى كيف ان الله يعلم بالاشياء ، إذا كان وجود العلم عين الذات ومن كمال الوجود ، فبأي معنى يفرض علمه بالاشياء ، وهنا وقعت معركة بين الفلاسفة ، لايهمنا أن نخوضها ، بل يكفيننا ان نعلم أنه تعالى لا بد ان يتصف بهذه الصفة العليا ، ولا يمكن ان يتجرد عنها ، اما كيف يعلم ، فلا يهمنا اثباته ، وان كانوا قد اتعبوا أنفسهم في ذلك . هذه الاشياء الخاصة أو الخارجية كيف يعلم بها الله تعالى ، هل بارتسام صورة أو بانه مثلاً بناء على نظرية افلاطون في المثل أن الله خلق أشياء هي من قبيل القوالب هي مثالات الاشياء الخارجية ، فهو يعلم بها ، واذا علم بالمثال علم بالمثل ، فاذا علم

بالقوالب علم بالاشياء الحادثة . الشيء الذي نذكره هنا على نحو الاجمال ونذكر الاقوال حوله استثناساً نقول : ان العالم أول شيء في علمه ان يكون عالماً بذاته ، واسباس العلم كله هو العلم بالذات ، فالانسان يعلم بذاته ، لأن ذاته حاضرة لديه ، فعلمه تعالى بذاته بالعلم الحضورى ، اى انه لايجرد من نفسه صورة ، ويكون عالماً بنفسه بتلك الصورة ، بل الذات لما تكون حاضرة لذاتها ولها قابلية العلم فهو يشعر بها فلما تحضر له الذات لا بد ان يكون شاعراً بها وبمعلولاتها وتجلياتها ، فالانسان عندما يشعر بنفسه يشعر بجميع ما بها من صفات وافكار وخيالات وعلوم ، باعتبار أنها معلولات للنفس فهي حاضرة للنفس كحضورها لنفسها ، كما ان النفس حاضرة لذاته فكذلك افعالها حاضرة لها بنفس حضورها لذاته ، بل نحن نترقى فنقول : ان علم النفس بالاشياء علماً حصولياً مرجعه الى العلم الحضورى ، لأن الصورة حاضرة لها ، فالصورة التي تخلقها النفس هي علم حضورى ، لان النفس واجدة لها بهذا الانطباع ، فتكون عالمة بها ، فبالنسبة الى العلم الخارجى يكون علماً حصولياً ، وبالنسبة الى النفس فهو علم حضورى . فالنفس ليس لها الا العلوم الحضورية ، وانما ترسم في النفس صور يقال إنها تعلم بها علماً حصولياً ، فالعلم الحضورى مرجعه الى العلم الحضورى ، فالنفس لما كانت لها قابلية الشعور والعلم ، وتحضر نفسها لذاتها ، فتكون عالمة بذاتها وبكل تجليات وافعال نفسها ، لانها حاضرة ايضاً ، فالعلوم الحضورية راجعة الى الحضورية ، باعتبار وجدان النفس لها ، لانها من فعل النفس وهي تجليات للنفس ، وهذه الصورة تخلقها نفسى ، وتعلم بها ، وليس علمى بها علماً مستأنفاً اى لا آخذ صورة اخرى واعلم بها .

فهذه النفس التي تعلم بهذه الاشياء تكون افعالها حاضرة لديها ، فاذا غفلت عنها انعدمت ، ولكنها تبقى موجودة بالعلم الارتكازى ، فالعلوم الذاتية التي تنطبع في النفس وتكون ملكات للنفس هي جزء من النفس ، وتبقى ببقاء النفس ، ولكنها قد تغفل عنها ، ولكنها لاتنعدم من صفحة النفس ، بل هي موجودة في العلم البسيط او

العقل الباطن أو العقل الفعّال أو اعماق النفس ، فالنفس لتجردها تنطبع فيها هذه الاشياء وتكون ترقّيات لها ، فبالنسبة الى الصورة علم حضوري ، ولكنها بالنسبة الى ذي الصورة علم حصولي ، فالنفس تكون واجدة لهذه الاشياء ، فعلمها بها علم حضوري مشاهد .

فعلم الله بالاشياء باعتبار أنها مخلوقاته ، وأنه أفاض عليها الوجود ، وأنه عالم بذاته وبجميع افعاله ، فهو عالم بكل ذرة في السموات والارض ، فهي حاضرة لديه بنفس وجودها ، لا بصورة منتزعة منها .

الله تعالى ليس يقارن بزمن ، فاذا قيل انه ازلي ، فليس معناه أنه ازلي في الزمن ، فليست ازليته زمنية ، ولا قديمه قدم زماني بل ذاتي ، فلا أول لاوليته ولا آخر لاخريته ، فعلمه بالاشياء المتقدمة زمانا كعلمه بالمتأخرة . ولكننا لانعلم بالغد إلا علما حصولياً لانه غائب عنا ، ولكن الموجودات الزمنية بالنسبة الى الله حاضرة كلها لديه ، لانقول حاضرة في آن واحد ، لانه لا آن له ، ولكن يشبه أن يكون في آن واحد ، فلا سبق ولا تأخر فكلها حاضرة لديه حضوراً فعلياً واحداً ، فكل الاشياء المتقدمة والمتأخرة حاضرة لديه وليست غائبة عنه وانما تكون الغيبة فيما بينها .

سؤال : كيف نفسر جملة (كان الله ...) التي وردت في القرآن كثيراً مع أن كلمة كان ناقصة وليست تامة ؟

الجواب : الاصح أنه يستحيل أن تدل كان على الزمن ، وانما ينتزع منها الزمن في الزمانيات ، أما بالنسبة إلى المجردات فهي تدل على التقدم الذاتي - فمعنى الكينونة هنا التقدم الذاتي ، وبما ان الانسان مغمور بالزمن ، فلا يستطيع ان يتصور شيئاً مجرداً عن الزمن ، ويتمثله في نفسه ، لأن الذهن البشري لم يألف الا الزمان والمكان ، فلا يستطيع ان يتصور المجرد إلا في حدود الزمان والمكان وبشكل محسوس ، فاذا قلنا كان الله ولم تكن الاشياء ، فباعتبار أنه خالق الاشياء ، وليس هناك تقدم زماني ، وليس تقدمه يعني أنه كان هناك زمان كان الله وحده فيه ، ولم يكن معه شيء .

علمه تعالى بالاشياء ١١٧

وليس معنى قولنا ، إنه تنكشف لي أحوالي أو حوادث الغد أنها موجودة هذا اليوم أو الآن ، بل علمت الآن انها موجودة في حينها ، فهي منكشفة لله في ظرف وجودها ، وهي معلولة له ، والزمان ملغى بالنسبة اليه ، وكلها حاضرة لديه على قدم المساواة . فإذا قلت : إنني أعلم بحوادث الغد ، فليس يعني ذلك أنها صارت حوادث اليوم ، فالعلم حاضر والمعلوم غائب ، بالنسبة لنا ، أما بالنسبة إلى الله فهي حاضرة لديه على قدم المساواة ، والمساواة هنا غير زمنية ، وفهم هذه الامور يحتاج الى سليقة سليمة .

الدرس التاسع عشر

علمه تعالى بالاشياء
الاثنين ١/١/١٩٦٢ م
الاقوال في كيفية علمه تعالى كما جاء في كتاب الاسفار (وكان الاستاذ يقرأ من الاسفار ويعلق) .

الاول : مذهب توابع المشائين والفارابي وابن سينا وبهمنيار تلميذ ابن سينا وهو القول بارتسام صور الممكنات في ذاته تعالى وحصولها فيه حصولاً ذهنياً على الوجه الكلي ، اي انه تعالى ليس عالماً بالاشياء بنفس وجودها ، بل يتصورون ان العلم الحضورى علم بسيط ، ولا يكون إلا بسيطاً ، وعلم الله تعالى يعني التوجه للشىء ، ولا يكون ذلك الا بالارتسام وهو العلم الحضورى ، فعلمه لا بد ان يكون حصولياً لا حضورياً ، وارتسام الصورة في الذهن لا يكون الا كلياً ، والصور وان كانت حاكية عن أمور جزئية هي صور كلية ، مثل المهندس عندما يتصور صورة الدار التي يريد بناءها ، هذه الصورة كلية ، لانه قد يكون مصداقها هذا الفرد أو ذاك . وهذا مذهب غير مقبول .

الرأي الثاني : القول بكون وجود صور الاشياء في الخارج سواء كانت مجردات أو

ماديات مركبات أو بسائط مناطاً لعالميته تعالى بها ، أي نفس وجودها في الخارج هو علمه بها . وهو يعلم بها علماً حضورياً ، فهي حاضرة لديه حضوراً ذاتياً بنفس وجودها الخارجي ، ولا يحتاج الى انتزاع صورة منها وهو مذهب الاشراقيين .

الرأي الثالث : وهو المنسوب الى فرفور يوس من تلامذة ارسطو وهو صاحب المذهب المشهور ، باتحاد العاقل والمعقول والعقل ، ويقول عنه ابن سينا في الاشارات : إن له رسالة في اتحاد العاقل والمعقول حَشَفَ كلها . فهذا يذهب الى أن الله تعالى إذ يعقل المعقولات يتحد بها ، فهو عاقل ومعقول وعقل ، وكذلك الانسان حينما يعقل لاشياء يتحد معها ، فمناط علمه تعالى بالاشياء هو اتحاده بالمعقولات ، فاذ يتحد بها يكون عالماً بها ، فالمعلوم هو نفس العالم ، فهو نفسه يعلم بنفسه فيعلم بمعقولاته ، وهذا القول يؤيده ملاصدرا .

الرأي الرابع : مذهب افلاطون صاحب المثل الافلاطونية ، هنا نقطة لا بد من بيانها ، وهي ان المتجددين يجعلون ويعتبرون كل من يقول بالروحانيات قائلاً بالمثل ، ومقابل ذلك الماديون الحسيون ، فمقابل افلاطون مثلاً ارسطو ، ويسمونه واقعياً ، وهذا تحريف وظلم أشاعه المحدثون ، وظلموا به اصحاب الآراء ، فمجرد كون الشخص مثالياً لا يعني كونه خيالياً ، وليس واقعياً ، وهذا الظلم كالظلم في التفرقة بين العلم والفلسفة ، حيث جعلوا العلم للأمور المحسوسة والفلسفة لما وراءها ، في حين أن كلاً منهما كلمة عامة ، وانما وقفوا هذا الموقف ليوحوا للسامع أن الفلسفة إنما هي مجموعة أمور غير واقعية ، يعني ما وراء الطبيعة وابعائها ، أي ان الفلسفة كلها خيالية .

ويفرض افلاطون في نظريته أن كل مو-تود من الانواع الموجودة له فرد مجرد مستقل عن الافراد ، يعني ان كل نوع له فرد واحد هو صرف الحقيقة ، هو صورة موجودة بلا مادة ، أي انه يوجد انسان كامل مجرد يتصف باعظم صفات الكمال الانساني ، فالقانون الذي يكون به الانسان انسانا هو موجود في عالم الروحانيات أو

المثل الالهية ، مثل القلب الواحد يخرج افراداً كثيرة فكل الانواع الجوهرية أو العرضية أو الصفات لها فرد كامل أعلى ، فكلها أي كل افراد النوع تطلب فردها الكامل ، فكل فرد يطلب كمال نوعه الذي يسميه رب النوع ، الذي هو السبب في وجود تلك الافراد ، وانما سمي أعلى لانه جامع لجميع الكمالات التي يصلح لها هذا النوع ، والافراد تطلب ذلك الكمال ، فكل الانواع لها قانون موجود في عالم الروحانيات يكون سببا في وجود الافراد والجزئيات ، وهو فرد غير محسوس ، وله وجود خارجي مجرد ، والفكرة اليونانية القائلة بتعدد الآلهة ، مثل إله الخير وإله الجمال ، منبثقة عن نظرية المثل . كل الانواع المادية لها فرد واحد ، ويستحيل أن يكون اكثر من فرد واحد ومعه جميع كمالات ذلك النوع ، وكل فرد من الافراد له شوق للوصول الى ذلك الكمال ، كل انسان يسعى إلى أن يكون مثلاً للمثال الذي له بان يكون على قلبه وعلى قانونه ، فهو قانون الموجودات المادية . فالله تعالى أوجد تلك الاسباب لتوجد الافراد ، فهي علة فاعلية ما به الوجود لامانه الوجود ، وترتب على هذا ان الله تعالى عالم بالاشياء بسبب حضور تلك المثل عنده ، فما دامت موجودة و مخلوقة لله تعالى وعلى نسقها وقانونها يخلق الله تعالى الموجودات ، فهو يعلم بهذه الموجودات الجزئية كعلمه باسبابها الطبيعية الروحانية الموجودة في سابق علمه ، فمناطق علمه هو نفس حضور تلك الاسباب الحقيقية عنده ، يعني ان نفس حضورها هو حضور الافراد فيكون عالماً بها . وما نسب الى افلاطون انه يقول بنظرية الاستدكار ليس صحيحاً بل له نظرية اخرى .

الدرس العشرون

١٩٦٢/١/٧ م

علمه تعالى

قلنا: إن القول بالمثل مصحح لعلمه تعالى بالموجودات عند القائلين بالمثل . ابن

سينا يدعي أن افلاطون يرى بان لكل نوع من الانواع فرداً موجوداً بالعقل واحداً مجرداً من كل مادة ، فهذا الفرد المجرد هو الكلي الذي يقال له الكلي الطبيعي الذي يشمل الافراد ويتحد مع جميع الافراد . هل ان افلاطون يرى أن الكلي الطبيعي هو الفرد المعقول وانه موجود بوجود افراده أو انه يرى أن المثال فرد من الكلي الطبيعي وان الكلي الطبيعي يشمله ويشمل الافراد المحسوسة ، وهو فرد كسائر الافراد له وجود مستقل ، إلا أنه ابدئي ، وينطبق عليه الكلي الطبيعي ، أي ان الكلي الطبيعي له فردان جزئي معقول وجزئي محسوس ، غاية الامران الفرد المعقول لا يكون الا واحداً وهو المثال . في المحسوسات يمكن تكثر الافراد ، ولكن الاشياء المعقولة لا تتعدد ، باعتبار ان الحقيقة صرفاً ومحضاً لا تتعدد ، لانها مجردة من كل شيء . ابن سينا يتخيل ان المراد من هذا الفرد هو الكلي الطبيعي ، وانه قديم ، فاعترض بانه كيف يعقل ان يكون الكلي الطبيعي فرداً شخصياً موجوداً مستقلاً عن الافراد ؟ ويرى ان التشخيص ليس هو الا تشخيص الافراد . والتفسير الآخر للمثل قول من ذهب الى أن المثال ليس هو الكلي الطبيعي بل فرد من الكلي الطبيعي ووحدته وحدة شخصية لانوعية ، وانه متشخص معقول ومجرد .

نريد ان نتبين الداعي الى القول بالمثل والصور النوعية ، ماهي الاسباب لفرض هذه المثل ؟ وما هو الدليل اللمّي عليها ؟ فهذا الذي يتصوره ابن سينا من أنهم يقولون : إن المعرفة لا تتم الا بفرض المثل اى لا يمكن للانسان وحتى الله أن يعلم بوجود الاشياء إلا بواسطة وجود اشياء معقولة ، والعقول هي التي تنال تلك الاشياء المعقولة ، ولا تنال المحسوسات فلا بد أن توجد تلك الاشياء المعقولة ، وهي موجودة في عالم الاله ، وموجودة في النفس ايضاً ، أي انها السبب لمعقولية الاشياء المحسوسة ، وهي لاتنالها العقول ، فلا بد أن تدرك بادراك صورها ، فلها مثال هو المُدْرَك ، وبهذه المثل تُدْرَك المحسوسات فهي كلي طبيعي بالنسبة الى الخارج وجزئية بالنسبة الى العقل . اذن لامعرفة الا بالتجريد ووجود معقول في النفس يكون

متحداً معها ، وهو ما يسمى بالمثال ، فادراك الله للأشياء أيضاً كذلك كما قالوا اذن سبب قول افلاطون بالمثل هو تصحيح العلم بالمحسوسات ، فلا معرفة بدون مثل ، هذا بناء على فهم ابن سينا و الفارابي لنظرية المثل .

واما بناء على ان المثل هي افراد من الكلبي الطبيعي متشخصة موجودة في الخارج ، وهي العلة الطبيعية لما في الخارج ، اي ان فيض الوجود يمرّ منها فلذا سمي كل صورة للنوع «رب النوع» اي ان كل موجود له قانون متشخص في الخارج ، بناء على هذا يكون سبب القول بالمثل ليس هو تصحيح العلم والمعرفة بل شىء آخر وهو العلية والوساطة في الفيض ، كالأب بالنسبة الى الابن ، فتكون هذه القوانين الموضوعية خلقها الله تعالى لكي تكون قوالب للموجودات ، لكل موجود قالب ، وكل موجود يطلب الكمال في رب نوعه .

والسبب في وجودها هي أن الله - على ما يقولون - لا يمكن ان يباشر الاعمال الا بواسطة المثل ، لانه لا يمكن مباشرة الله للأشياء الخارجية إلا باتحاده معها ، ففاعل ما به الوجود المباشر لهذه الافعال لابد ان يفرض سبباً مجرداً توجد عليه الاشياء بحيث لاتتعدى هذا القانون ، فهو فرد من الكلبي الطبيعي موجود متشخص هو قانون للأشياء موجود في عالم الاله وعلى نسقه توجد الاشياء وتخلق . فنظرية المثل إنما تصحح نظرية المعرفة على ما فهمه ابن سينا و الفارابي منها . وعلى رأي آخر فانها علة ما به الوجود .

نحن نقول : ان كل الاشياء حاضرة لديه تعالى بنفس وجودها ، ولسنا بحاجة الى كل هذا الكلام .

الدرس الحادي والعشرون

علمه تعالى بالأشياء الاثنين ١٩٦٢/١/٨ م

الرأي الخامس : مذهب القائلين بثبوت المعدومات الممكنة قبل وجودها ، وهم المعتزلة ، فعلم الله عندهم انما تعلق بالمعلومات قبل وقوعها ، بسبب تصورهم ثبوت الممكنات في الازل ، فهم يقولون بان المعدومات ثابتة في الازل ، وهي معدومة ثابتة في علم الله ، فالمعدوم بما هو معدوم ثابت «ويقرب من هذا ما ذهب اليه المتصوفة من ثبوت الاشياء ثبوتاً علمياً لاعينياً» وذلك ما يسمونه بالماهيات الثابتة ، يعني انها ثابتة في علمه تعالى قبل وجودها .

قلنا ان الله يعلم بالشيء بوجوده الخارجي في ازل الازلين ، يعلم به في ظرفه والزمن تقاس به الاشياء في التقدم والتاخر فيما بينها ، لا بالنسبة الى الله تعالى . فالمتقدم والمتاخر بالنسبة اليه سواء . لانه خالق الزمان والمكان ، وهو فوق الزمان والمكان ، وهو يعلم بالاشياء قبل وجودها قبلية ذاتية لازمانية ، وانما قالوا بهذه الاقوال لانهم لم يتفكروا بعلم الله تعالى بالاشياء قبل وجودها ، وتصوروا هذه القبلية قبلية زمانية فقالوا بالماهيات الثابتة أو ثبوت المعدومات أو المثل الافلاطونية .

الرأي السادس : مذهب القائلين ان ذاته تعالى علم اجمالي بجميع الممكنات ، فاذا علم ذاته علم بعلم واحد كل الاشياء ، وهو مقارن لها ، وبالتفصيل تظهر ، مثل علمي بألف مسألة بالاجمال ، ولكن حينما تعرض لي مسألة أستطيع ان اتكلم حولها ، فانا عالم بالعلم الفعلي لكنه اجمالي ، ولكن حين تعرض الحاجة اتذكر المسألة ، فالانسان عالم بكل معلوماته التي يعرفها بالفعل لكن لا كالكتاب المبسوط ، بل بمعنى انه حينما ياتي سبب ظهورها تظهر ، فالله عالم بالاشياء كلها ، وكلها حاضرة لديه بالعلم الاجمالي ، ولكن لما يوجد الشيء يعلم به تفصيلاً ، لانه لا يجوز العلم بالشيء ولا يصح قبل وجود ذلك الشيء ، هكذا قالوا .

علمه تعالى بالأشياء ١٢٣

الرأي السابع : ان ذاته علم تفصيلي بالمعلول الاول واجمالي بما سواه ، فكل علة عالمة بالتفصيل بمعلولها ، وبالاجمال بمعلول معلولها ، فالله تعالى يعلم بالتفصيل المعلول الاول ، وبالاجمال بقية المعلولات .

ولكن بعد كل هذا الذي نقلناه من الاقوال . فالمهم هو الذي سبق ان قلناه في مسألة البرهان على وجود علم الله تعالى بالأشياء ، البرهان الذي يرجع الى الامور البديهية : انه لما كان محض الوجود وصرف الوجود ولا يعقل ان يدخل في حقيقته العدم ، فدخول اي نقص في ذاته خلاف الفرض الذي فرضناه وهو انه صرف الوجود ، ولا يجوز دخول العدم في حقيقته بنفس كونه واجب الوجود وصرف الوجود الذي يجب ان يكون في اعلى درجات الكمال ، والجهل نقص وعدم ولا يمكن ان يدخل في ذات ما هو صرف الوجود .

اما كلمة ان فاقد الشيء لا يعطيه فيجعله الكلاميون دليلاً على علمه تعالى ، لأن معطي العلوم لا يمكن ان يكون فاقداً لها ، فهذه الجملة المعروفة لا تنطبق على الله تعالى فالله يعطي الوجود لخصوصيات الماهية ، والله يعطي القدرة على المشي وهو غير ماشٍ ، فهو معطي الوجود ، والأشياء الذاتية لا يمكن ان تجعل بالجعل التأليفي ، بل الله يخلقها بالجعل البسيط ، فالكمال الذي هو الوجود بما هو لا بما هو متعلق بماهية من الماهيات فيض من الله تعالى ، فالله يفيض الوجود ، فالوجود من حيث هو من فيض الله تعالى ، أما حدود الوجود فهو من فعل ما به الوجود ، أي السبب الطبيعي . فالقاعدة التي ذكرناها آنفاً صحيحة اساساً لكن الله مفيض الوجود ، اما حدود الماهيات فليس الله متصفاً بها ، لانه فاعل مامنه الوجود لاما به الوجود ، والقاعدة المذكورة حين تؤخذ على اطلاقها ، فيمكن أن يقال ان الله معطي المشي فلا بد ان يكون ماشياً ، ولكنه تعالى يعطي وجود هذه الاشياء فهو يعطي الوجود والعلم والقدرة ، فاذا الدليل البرهاني يجب ان يكون من ناحية الوجود لا من حيث ان معطي الشيء لا يمكن ان يكون فاقداً له .

الدرس الثاني والعشرون

القدرة

الثلاثا ١٩٦٢/٣/٦ م

قلنا ان اساس معرفتنا لله تعالى وصفاته هو الاساس اللمّي ، أي ليس عن طريق معرفة المعلولات كما يصنع الناس ، فالتناس ينظرون الى الاشياء من زاوية المعلولات على قدر ما يفهمون المعلولات ودقة تنظيمها ، فيقولون ان خالقها لا بد ان يكون قادراً مختاراً حكيماً ، وهذا يتبع مدى معرفة الانسان بالمعلولات ، والمعرفة الانسانية اقل من أن تحيط بمدى دقة المعلولات ، وهي على رغم ذلك طريقة صحيحة ، لان الانسان يعجب من دقة المعلولات ونظمها الذي يكشف عن المنظم ، ولكننا قلنا سابقاً اننا سلكنا مسك اللميّة ، فاول تفكيرنا انصب على الامور الموجودة المتصورة وهي لا تخلوا ما ان تكون واجبة او ممكنة ، والامكان معناه سلب الضرورة لطرفي الوجود والعدم ، فلو قدر ان تكون كل الموجودات ممكنات لكان معنى ذلك ان تكون المعلولات بلاعلة ، ومعنى ذلك ايضاً ان لا يرجع كل ما بالعرض الى ما بالذات ، وهذا غير معقول ، لان معنى قولنا ان هذا الموجود ممكن هو أن وجوده مستقي من الغير وهو واجب الوجود .

وهنا تبدأ نقطة الخلاف بين الالهيين والماديين ، فالالهيون يقولون ان واجب الوجود لا بد ان يكون غير مادي ، والماديون يقولون ان المادة قديمة وهي واجبة الوجود ، فهم يقولون بشيء لا اول له ولا نهاية له ، كقولهم بلانهاية الفضاء ، والمادة هي اساس الكون لا اول لها ولا آخر ، ولا يحدّها زمان ولا مكان ، فنقول انهم وان لم يصرحوا بذلك ، وان لم يسموا الاشياء باسمائها خوفاً من ان يلزموا بما لا يريدون الاعتراف والاقرار به ، ولكن فحوى كلامهم هو ذلك ، فنقطة الخلاف ليس في أصل أن مبدأ الكون واجب الوجود ، ولكن الخلاف في ان هذا الاصل هو المادة او غيرها . نحن نقول لهم : إن هذه المادة التي تقولون إنها واجبة الوجود هل لها ماهية ؟ وكل

جزء منها أليس له مكان وزمان وطول وعرض وجهة ، وهذه كلها صفات الممكن ولا يكون واجب الوجود متصفاً بهذه الصفات ، فما فرضته واجب الوجود ليس بواجب الوجود . ولا يعقل أن يكون واجب الوجود الامتصفاً بجميع صفات الكمال ، ولا يعقل ان يدخل في ذاته العدم ولا يعقل ان تكون له ماهية ، لأنك لما حدّدته بشيء فقد ثنّيته وجزّأته وقد قلت انه ليس بواجب الوجود ، كما في كلمة اميرالمؤمنين التي سبقت . وان كانت هذه المادة ممكنة فهي محتاجة الى واجب الوجود لان ما بالعرض يحتاج الى ما بالذات .

من جملة صفات الواجب هو أن يكون قادراً ، لان العجز نقص ، فيجب ان يكون متصفاً باعلى درجة من القوة والالتم يكن واجب الوجود ، ولكن ما معنى القدرة ؟ القدرة لها تفسيران :

١ - صحة الفعل والترك .

٢ - تعبير آخر عن القادر هو إن شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل .

وكلمة القدرة لها اصطلاحان : القدرة بمعنى القوة والقوة لها اصطلاحان : القوة في مقابل الفعلية كما تقول : البذرة في قوة ان تكون شجرة أي لها قابلية أن تكون شجرة ، والقوة في مقابل العجز ، فحينما تقول : ان الله قادر فليس المقصود المعنى الاول ، بل هو عين الفعلية ، نعم القوة فينا تكون بمعنى الاستعداد ، أنا لي قدرة التكلم ، أي استعداد على التكلم ، والطبيعة والاجسام فيها القوة بالمعنى الأول كالقوة الموجودة في بذرة الشجرة ونطفة الانسان ونطفة الحيوان ، فنطفة الانسان انسان بالقوة ، وهذا - أي القوة - نقص فعلي في الممكنات ، ولا يمكن أن يوصف الله تعالى به ، لانها نقص وعدم ، وقد قلنا انه يستحيل ان يدخل في ذاته العدم ، فلا بد ان تكون فعليته تامة ، فالقوة في الله تعالى تعني الفعلية المحضة وليس الاستعداد ، فلا معنى لصحة الفعل والترك بالنسبة اليه تعالى ، لان معنى امكان ان يفعل أو يترك ان يدخل في حقيقته الامكان ، فلا بد أن ان تفسر القوة بانه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ، وهو تمام

الفعلية فيه . ومن أغرب العبارات عبارة الآخوند : انه تعالى ان شاء فعل وان شاء ان لايفعل لايفعل ، وهذا تسامح منه ، وتفسير للقدرة على خلاف المشهور ، لأن القدرة لاتتعلق بالعدم ، بل يكفي في عدم العلة ، لأن الشيء اذا تمت علته فلا بد أن يوجد ، واذا نقص من علته شيء لا يوجد ، لا أنه يحتاج في عدمه الى علة ، ولذلك يقال من باب التسامح : عدم العلة علة العدم ، وهذا ليس من قبيل العلية لان العلية بمعنى التأثير وهنا لايمكن التأثير ، فنستطيع ان نقول : إن العدم لايمكن ان تتعلق به القدرة ، فالقدرة على العدم على طبع القدرة على الوجود ، فاذا لم يشأ لم يفعل ، لأنه استمرار للعدم ، والعدم لا وجود له حتى يكون مستمراً .

الدرس الثالث والعشرون

القدرة
الاثنين ١٢/٣/١٩٦٢ م
هناك اصطلاح الملكة وعدمها كالبصر والعمى والنور والظلمة ، فالعمى هو سلب البصر مما من شأنه ذلك ، والظلمة عدم النور مما من شأنه ان يكون مضيئاً ، والعدم ليس من شأنه ان تتعلق به القدرة ، لانه لايمكن فيه التأثير والتأثر ، ويكفي في العدم عدم العلة الموجودة ، فلا يصح التعبير : ان المختار القادر هو الذي ان شاء فعل وان شاء الآ يفعل لم يفعل ، لان العدم لا يحتاج الى مشيئة بل يكفي عدم المشيئة ، والقدرة لاتتعلق بالأعدام ، وكذا الخلق والارادة مما يفرض علة للوجود لايمكن نسبته للعدم بالاصالة ، بل ينسب الى العدم على نحو التبعية والمجاز ، لان المعدوم لاوجود فيه فلا تأثير ولا تأثر .

بقي تفسير القدرة بصحة الفعل والترك ، فاذا اريد منه امكان الفعل والترك فهذه صفة ليست في القادر ، بل صفة للشيء وللفاعل ، ويمكن للفعل ان يوجد والآ يوجد ، وهو معنى الامكان وسلب الضرورة عن الطرفين ، ويشترط في كل قدرة امكان

المقدور. اما الامكان وصحة الفعل والترك من الفاعل ان يمكنه ان يفعل وان لا يفعل ، أي لا يمتنع عليه فهو صحيح ، ويرجع الى قولنا : ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ، ولكن لا يصح بالنسبة الى الله تعالى ، لان القدرة عنده تكون عين الفعلية ، فعند ما نفرض انه قادر فلا بد أن تكون قدرته كاملة فعلية ، فلا معنى للامكان فيه ، فاذا أريد بالقدرة وصحة الفعل والترك معنى الامكان ، فلا يصح نسبة القدرة بهذا المعنى الى الله تعالى ، لانه تام من جميع الجهات ، لا يمكن ان يدخل في حقيقته الامكان والنقص والعدم ، لان ذلك ينافي كونه صرف الوجود ، ومعنى الامكان هو عدم الضرورة ، والعدم لا يمكن ان يدخل في حقيقة من ينتزع الوجود من نفس ذاته ، وهو محض الوجود والوجوب ، فلا بد أن يكون الله قادراً على كل شيء ، بمعنى انه ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ، فالقدرة التي نتصف بها نحن لا يمكن نسبتها الى الله تعالى ، لانها بمعنى الامكان وبمعنى القوة ، التي تقابل الفعلية ، ولا يصح أن ينسب هذا الى الله ، وهو محض الفعلية والوجود ، فنحن نصف الله بانه عالم ، ولكن لا على المعنى الذي يصدق علينا ، فكذلك قدرته وسائر صفاته ، اما كيف تتجدد الاشياء وقدرته قديمة ، وهي عين ذاته ، فلأن الحدود هو ضعف ونقص في القابل لا في الفاعل القادر المختار ، لان القدرة انما تتعلق بالشيء القابل على ما فيه من نقص ، فيوم الخميس لا بد ان ياتي بعد الاربعاء وقبل الجمعة ، والا لم يكن يوم الخميس . فقدرته تسع كل شيء اذا كان الشيء له استعداد للوجود في هذا الطرف فالنقص ليس في القدرة بل في المقدور . كل شيء لا بد ان تكون له قابلية حسب ظروفه الخاصة ، وعليه فلا بد ان يتجدد وكل شيء يتجدد على حسب قابليته ، وتتجدد المخلوقات ليس معناه تجدد القدرة فيه ، وذلك كما قلنا في علمه تعالى : ان جميع الاشياء حاضرة لديه بدون تقدم ولا تأخر ، وان كانت فيما بينها متقدمة ومتأخرة ، وكل الاشياء حاضرة لدى قدرته كذلك ، وكما تعقلنا ان الحادث يكون معلوماً لله تعالى وعلمه قديم كذلك نتعقل ان يكون الحادث مخلوقاً لله ومقدوراً لقدرته ، لان

قدرته محيطية بكل شئىء ، وهو على كل شئىء قدير ، وكل شئىء بحسب استعداده وظرفه الزماني والمكاني يكون مشمولاً لقدرته تعالى .
 فالله تعالى حيث انه واجب الوجود من جميع الجهات ، فقدرته واجبة الوجود من جميع الجهات ، وليست كالقدرة فينا مشوبة بالامكان والقصور .
 ولما كان الشئىء موجوداً ، فلا بد ان يكون حياً قادراً شاعراً ، غاية الامر انه يتصف بهذه الصفات بمقدار حظه من الوجود فلذا نقول : كل ذرة في العالم قادرة على الحركة وعالمة وشاعرة بحركتها ، بل هذه الصفات هي صفات نفس الوجود ، وكلما يترقى الوجود تترقى معه هذه الصفات .

الدرس الرابع والعشرون

السبت ١٧/٣/١٩٦٢ م
 الحياة
 من جملة صفاته الثبوتية العينية انه حي ، وقد نطق بذلك القرآن الكريم والروايات عن النبي (ص) والائمة (عليهم السلام) ، ولكن ما معنى الحياة فيه التي هي عين ذاته ؟

نفهم من الحياة والحيوية الحركة أو قوة الحركة أو قوة النمو ، وهذه امور لا يمكن نسبتها الى الله تعالى ، وكذلك نفهم من الحياة القدرة على الفعل والقدرة على التصرف فما هي الحياة التي يمكن ان ننسبها الى الله ، ونحن لانريد اصطلاحاً لغوياً غير ما نفهمه من الحياة عند سائر الاحياء ، غاية الامر انها عند الله أقوى بحيث لا يقاس به شئىء آخر بموجب قوله : ليس كمثله شئىء . فكما نفهم معنى العلم عند الانسان كذلك نفهم معنى علم الله ، لكنه عند الله اعلى ولا يقاس به شئىء ، وكذلك القدرة ، فالحياة التي يصح أن نطلقها على الله تعالى لا بد ان تكون هي التي نفهمها من سائر الموجودات ، لكن عنده أقوى من جميع الجهات ولا يقاس به شئىء . والحياة

التي نستطيع ان نفهمها وتنطبق على كل حي هي التي ترافق الوجود ، بحيث يكون الوجود والحياة متلازمان مقابل الميت . ففي الحقيقة ان معنى الحياة يلزم معنى الوجود ، وكل موجود يكون حياً ، غاية الأمر أن الحياة تكون بقدر ماله من حصة في الوجود ، وكل ما يقوى الوجود تقوى معه القدرة والحياة والعلم ، وهذه الصفات تلازم الوجود بما هو وجود . فالحياة ترافق الوجود خارجاً وان لم تتحد معه مفهوماً ، فلا يمكن فرض موجود بدون حياة ، ولا يمكن فرض حي بدون وجود ، وهذه المعاني التي نفهمها من الحياة كالقدرة على التصرف والقدرة على الحركة ، هي مظاهر الحياة وليست هي الحياة ، والحياة في الحقيقة هي الوجود ، وفي مقابلها الموت ويعني العدم ، وسرّ استكشاف ملاصدرا للحركة الجوهرية يظهر من هنا ، حيث أدرك أن كل موجود لابد أن يكون حياً ، وان الجمادات لابد أن تحتوي على الحياة والقدرة والشعور ، والعلم الحديث أيد ذلك ، إذ أكد أن كل ذرة فيها من الحركة ما يدهش العقول . فالحيات ترافق الوجود تحقّقاً ووجوداً وثبوتاً وإن غابته مفهوماً ، وكلما فرض الوجود فرضت معه الحياة ، وتختلف باختلاف مراتب الوجود ، فما كان وجوده ضعيفاً كانت حياته ضعيفة وما كان وجوده قوياً كانت حياته قوية ، فان كان اقوى وجوداً كانت الحياة أقوى حياة ، وهذا هو برهاننا على ان الله حي ، لانه تعالى واجب الوجود ، وهذا هو الدليل اللّمّي ، ولا يهمننا الدليل الإنسي الذي يذكره المتكلمون ، فنحن عندما نعرف انه موجود نعرف انه حي ، وهذا هو برهاننا ولا نحتاج الى برهان آخر .

يقول الطوسي : ان الحي افضل من الميت ، فيجب ان يكون الله حياً ، ولكن في هذا الدليل ضعفاً ، فهل يمكن ان يصدق هذا بالنسبة الى قولنا الطويل افضل من القصير ؟ فليس كل صفة يجب ان يتصف الله بافضل صورها ، بل الصفات التي هي كمال للوجود فيجب أن يتصف بها على اعلى درجاتها . وهذا هو الدليل اللّمّي أي ليس استدلالاً بالمخلوقات على الخالق فالله اجلّ من ان يعرف بخلقه بل الخلق

يعرف به .

ويستحيل مفارقة الحياة للوجود ، فاذا كان الله تعالى واجب الوجود ، فلا بد ان يكون واجب الحياة ، ويقولون : ان فاقد الشيء لا يعطيه فمعطي الحياة لا بد ان يكون هو حياً ، ولكننا لا يمكن ان نأخذ هذه القاعدة على اطلاقها ، لان معطي البياض قد لا يكون هو ابيض ، فالشيء الذي لا يرتبط بالوجود لا يمكن ان يقرب الله به ، وهو المنزه عن صفات الممكنات بما هي ممكنات لا بما هي موجودات ، اي انه منزه عن الصفات المرافقة للامكان لا الصفات المرافقة للوجود ، فهو أولى بها ، لانه الموجود الاصيل والحقيقي ، فلا معنى لان يتصف من صفات الممكنات بافضلها ، بل يجب ان يتصف من صفات الوجود بافضلها واكملها .

الدرس الخامس والعشرون

العياة - السمع والبصر
الثلاثا ٢٠/٣/١٩٦٢ م

كان البحث السابق في انه تعالى حي ، وقلنا ان هذا يفهم بالاستدلال على حياته من كونه تعالى موجوداً ، وان الحياة كمال الوجود ، بل هو عين الوجود واقعاً ، فلا وجود لمن لاحياة له ، ولا حياة لمن لاوجود له ، فكل حي موجود ، وكل موجود حي ، غاية الامر ان الحياة تتبع الوجود ضعفا وقوة ، فان اختلفت مراتب الحياة فذلك بسبب اختلاف مراتب الوجود ، فاذا دلّ الدليل على انه تعالى موجود ، وانه واجب الوجود ، فوجب ان يكون بذاته حياً ، وليست الحياة شيئاً زائداً على الذات ، بل هو عين الذات . ومن هنا قلنا : إن الملاصدرا استنتج الحركة الجوهرية في الاشياء ، اي انه لاجماد حقيقي ، بل كل موجود ففيه حركة - وهي مظهر الحياة - أي كل الموجودات المادية هي متحركة متصاعدة متطورة ، وقد كشف العلم الحديث عن صدق هذه الدعوى ، والملاصدرا هو الذي انتبه الى هذا ، وهو أن الحياة ترافق الوجود ، وكلّ

الحياة - السمع والبصر ١٣١

موجود لا بد ان يكون حياً ، وما ليس بحي فليس بموجود ، غاية الامر تختلف الحياة بحسب مراتب الوجود .

فانه تعالى يقال له حي لامن حيث الدليل الذي يقول بانه معطي الحياة ، فلا بد ان يكون حياً ، وان فاقد الشيء لا يعطيه ، ولا من حيث ان الحي افضل من الميت ، لان الكمالات التي ليست من حيث الوجود لا يجب ان يتصف بها الله تعالى ، فاذا قلت : الجميل افضل من القبيح ، واللين اكمل من الخشن ، فهذه صفات ليست اكمليتها من حيث الوجود ، فلا تنسب الى الله ، بل تناسب الموجودات المادية وهي مما لا يتصف بها الله تعالى ، بل انما يتصف بكمال الوجود بما هو وجود ، فكمال الماهية غير كمال الوجود ، والصفة التي تكون كمالاً في الوجود من حيث هو وجود ، يجب ان يتصف الله تعالى باعلى درجاتها ، لانه في اعلى درجات الوجود .

وهذا هو الدليل اللّمي اي الاستدلال من العلة على المعلول ، أي اننا بعد علمنا بانه تعالى موجود ، وانه اكمل الوجود ، فلا بد ان يتصف باعظم كمالات الوجود .

ومعنى الحياة هو قوة التصرف غاية الامر انه قد يكون من شأن الحي الحركة أو الادراك او غير ذلك ، فالحياة قوة موجودة في الشيء تستدعي الانتاج والتشجير والتأثير والحركة والادراك ، اما التعبير الحقيقي عن معنى الحياة الذي نفهمه ، فيقصر اللسان واللغة عن تأدية معناها ، وانما نعرفها بآثارها . فنحن لانقول إنه - أي الشيء - حي لانه تحرك أو نما ، بل نقول إنه تحرك ، لانه حي ، اما الشيء الذي يكون به الشيء حيا ، فنحن لا نستطيع ان نعرفه ، فنحن اذا فككنا شيئاً ثم أردنا أن نجعله فنراه قد فقد الحياة ، ولا يعود كما كان ، فالروح جزء غير مادي ، ولكنه مرتبط بالجسم المادي ، فنحن نعرف الحياة بآثارها ، ولا نستطيع ان نعرفها بحقيقتها ، كما لانستطيع ان نفهم حقيقة الوجود ، وعدم معرفتنا لحقيقة الشيء بالحمل الشايع الصناعي لا يلزم منه عدم فهمنا لمفهومه ، فالحياة كالمفاهيم العامة البسيطة لا يمكن تعريف مفاهيمها ولا مصاديقها كالوجود . انتهى الكلام عن الحياة وكونه تعالى حيا .

وستحدث عن كونه سميعاً بصيراً ، وقد ورد هذا في القرآن والروايات بكثرة ، لذا بحث المتكلمون والفلاسفة في معنى السمع والبصر لافي أصله. ما نفهمه من السمع والبصر بواسطة الآلة السامعة والباصرة يستحيل اطلاقه على الله تعالى ، فما هو السمع والبصر عند الله ؟ مع ان هاتين الصفتين من صفات الممكنات ، وهو لا يجوز ان يتصف بصفات الممكنات ، فهل يطلق عليه ذلك مجازاً فتكون من قبيل : الرحمن على العرش استوى ؟ وهذا هو المشهور عند المتكلمين وبعض الفلاسفة ، فمعنى كونه سميعاً بصيراً عندهم : أنه عالم بالمسموعات والمبصرات ، كما انا اعلم بالمسموعات والمبصرات عن طريق الآلة فهو يعلمها بدون آلة ، وانما سمي بصيراً وسميعاً لانه علم بما ابصر به وسمع به غيره ، وهذا اطلاق مجازي ، لان اسم الفاعل انما يطلق حقيقة على المتلبس بالمبدأ ، اما اطلاقه عند المتكلمين فمجاز لانه علم ماسمعه وابصره غيره فهو من الاسناد لغير ماهوله . فهل كل هذه الامور مجاز ؟ ولكن الظاهر من تمدح الله سبحانه بهذه الصفات في القرآن أنها من الكمالات . وهي على تقدير المجازية لاتزيد على العلم ، وعلى هذه يصدق عليه انه ذائق ولامس لانه يعلم بالمذوق والملموس ، فلما ذا هذا الاهتمام بهاتين الصفتين ، وهذين القسمين من الاحساس دون غيرهما . والذي يظهر من القرآن انه كمال الله تعالى ، في حين ان الذي نفهمه من السمع والبصر ليس كمالاً لله بل كمالاً للممكن فلا ينبغي ان يوصف به الله تعالى بل يشترط فيما يوصف به الله ان يكون صفة كمالية للوجود بما هو وجود لا للممكن بما هو ممكن . فتبين ان حمل السمع والبصر على المجاز خلاف الظاهر ، لأن صفة كونه بصيراً غير كونه عالماً . هذا أولاً ، وأما ثانياً ما هو وجه الاهتمام بهاتين الصفتين اذا كان المراد منهما شىء غير زائد على العلم ؟ فهل نستطيع ان نفهم أن السمع البصر هو من كمال الموجود بما هو موجود ؟ هل هما صفتان للموجود بما هو موجود ؟ أو للممكن بما هو ممكن ؟ فاذا استطعنا ان نفهم أنهما صفتان للموجود بما هو موجود فاتصافه تعالى بهما يكون على سبيل الحقيقة بل يجب ان يتصف بهما كما

في السمع والبصر ١٣٣

اتصف بالحياة والقدرة .

وهنا سؤال ، هل الآلة هي السامعة أم النفس هي السامعة ؟ وانما لا بد من آلة للحس لعدم اتصال النفس بالمسموعات مباشرة ، ولا تستطيع ان تعلم بالمسموعات الا بهذه الآلة ، فهذه الذبذبة تحصل في الاذن وتحس بها النفس ، اما هذه الآلة المادية فليست هي السامعة ، بل هي موضع للذبذبة ، وان الاذن ليس فيها حس بل هي موضع ذبذبة الصوت ، وهذه الذبذبة تحس بها النفس فتسمع ، فقولنا للأذن انها سامعة مجاز ، والواقع ان النفس هي التي تدرك الصوت ، فهي الحاسة ، وكذلك البصر ، فالعين تنطبع فيها الصورة المواجهة لها فتحس النفس ، فالنفس تحس بهذه الانطباعات فتبصر .

اذن فالسمع والبصر ليس بالاذن أو العين ، بل النفس تبصر وتسمع بمعونة الآلة ، أما كيف يتم الاحساس ؟ فهذا لا يعلمه الا الله تعالى . فالانسان يحس بعينه لا ان العين تحس فتحس بعدها النفس ، فالاحساس للنفس أولاً وأخيراً غاية الامر أنها قد تحس بواسطة الآلات ، وقد تحس بدون الآلات كما في الأحلام . فهذه مقدمة نعرف منها ان السمع والبصر من كمال الموجود بما هو موجود لا من كمال الممكن بما هو ممكن .

الدرس السادس والعشرون

الاحد ٢٥/٣/١٩٦٢ م

في السمع والبصر

قلنا ان هاتين الصفتين مما ثبت نقلاً جواز وصف الله تعالى بهما ، والقرآن الكريم صريح في ذلك ، وكذلك الاحاديث ، فهذا ثابت نقلاً على نحو القطع ، وانما الكلام في معنى كونه تعالى سمياً بصيراً ، فالطوسي في تجريده استدل على ثبوتها نقلاً ، واستشكل في معناها ، فهما بالنسبة الى الانسان مثلاً لا يكونان الا بواسطة الآلة ،

وهذا من صفات الاجسام ، والعقل دلّ على استحالة نسبة صفات الاجسام الى الله تعالى .

فلا بد أن تكون النسبة على وجه آخر بحيث لا يكون سبحانه ، محلاً للحوادث ، ولا يتصف بصفات الاجسام ، ولم يتطرق الطوسي الى أنه تعالى كيف يسمع ويبصر لذلك جرى البحث في معنى كونه سمياً بصيراً ، فهل هما صفتان زائدتان على العلم ؟ أم هما نفس العلم ؟ فمعنى كونه سمياً أي يعلم بالمسموعات لغيره ومعنى كونه بصيراً أي يعلم بالمبصرات لغيره ، فليس هو سمياً حقيقة بل مجازاً ، لان السمع هنا ليس منتزعاً من ذات الشيء ، ويشترط في كل مشتق التلبس بالمبدأ بأي نحو من انحاء التلبس ، وإلا لم يصح اتصافه به إلا على نحو المجاز . فحينما نقول إنه سميع بصير وفهمنا هاتين الصفتين على معناهما اللغوي ، فلا بد أن يكون المبدأ قائماً به تعالى ، واذا عرفنا استحالة نسبه اليه تعالى ، فمعنى انه سميع هو أنه عالم بالمسموعات لغيره ، أي ان المبدأ ليس قائماً به بل عالم بما سمعه غيره لابما يسمعه هو ، فمبدأ السمع يكون مجازاً بالنسبة اليه ، ولا يكون قائماً به ، بل قائماً بالغير (غيري جنى وأنا المعذب فيكم) اذن فهو غير سميع بهذا المعنى ، فاطلاق السميع عليه مجاز .

هذا هو القول الاول الذي يطبق عليه كثير من الفلاسفة ، ويلاحظ على هذا القول

شيئان :

١ - ان الظاهر من الآيات والروايات أن تسميته تعالى بالسميع والبصير على نحو الحقيقة غاية الامر أنه يسمع ويبصر لا بألة .

٢ - ان سميع وبصير صيغة مبالغة ، أي ان سمعه وبصره اكثر من غيره ، وأما اذا كان معناه العالم بالمسموعات والمبصرات وكان على نحو المجاز فاي مبالغة في هذا المجاز ؟ والمبالغة انما تصح في المعنى الحقيقي ، والمجاز اذا كان في الاسناد فلا معنى للمبالغة ، واما اذا كان المجاز في الكلمة فيكون مرادفاً لمعنى كلمة عليم ، فلا

يتقيد بالعلم بالمبصرات بل هو العليم بكل شيء ، فلاوجه للمبالغة في العلم باشياء معينة .

نقول : انه بناء على تفسيرهم يكون استعمال السمع والبصر مجازاً كما يقول المتكلمون وجلّ الفلاسفة ، حتى ان نصير الدين الطوسي وهو من نوابغ البشر لم يستدل على السمع والبصر إلا بالنقل ، وهذا المجاز اما ان يكون مجازاً في الاسناد أو مجازاً في الكلمة ومعنى المجاز في الاسناد ان السمع والبصر أي المبدأ قائم بغيره ونسبته اليه على نحو المجاز كما تقول لراكب السفينة متحرك ، فالمعنى لم يتغير ، ولكن الاسناد كان الى غير أهله ، فحينما نقول ان الله تعالى سميع بصير فهو ذلك السمع والبصر الذي نفهمه غاية الأمان المبدأ قائم بغيره والنسبة اليه على نحو المجاز ، لانه لما كان عالماً بالمسموع فكأنه سمع ، ولما كان عالماً بالمبصر فكأنه ابصر ، فمعناهما اللغوي لم يتغير ، وانما كان المجاز في الاسناد ، وهذا هو الظاهر من كلماتهم . ومرة نقول ان المجاز في الكلمة ، أي ان كلمة سميع لم تستعمل في المعنى الموضوع له ، بل استعملت بمعنى عليم ، فقد استعملت الكلمة في غير معناها ، وهذا هو المجاز في الكلمة ، والظاهر انهم يريدون المجاز في الاسناد ، لانهم يجعلون ذلك كصفة اخرى غير العلم ، ونحن اعترضنا ، وانكرنا ان يكون ذلك الاستعمال مجازاً اصلاً ، لافي الاسناد ولا في الكلمة ، والاستعمال المجازي المدعى خلاف ظاهر الروايات والآيات ، وارتكابه يحتاج الى برهان قطعي ، نعم اذا قام دليل قطعي على استحالة وصفه بذلك لجأنا الى المجاز ، ولكن هل قام البرهان على ذلك ؟ نعم قام البرهان على انه ليس محلاً للحوادث وليس سمعه وبصره بألة ، ولكن لماذا نفسر السمع والبصر بما ينطبق على سمعنا وبصرنا ليستحيل نسبة مثل ذلك الى الله ؟ ولماذا نفسر كلمة السمع والبصر بشيء يرتبط بالألة مع ان الألة ليست دخيلة في المعنى اللغوي اصلاً ، فلماذا التأويل ؟ ولماذا المجاز ؟ ولماذا لا يصح ان يكون للسمع والبصر معنى يصح نسبته الى الله تعالى من

غير أن يكون محلاً للحوادث ويدون أن يستعين بألة ، ولا يبقى بعد ذلك أي سبب للالتجاء الى المجاز الذي هو خلاف ما يظهر من الآيات والروايات ، ومن تمجيد الله نفسه بأنه سميع عليم ، وصريح نهج البلاغة من انه سميع بصير . اذن يجب ان نفهم ما معنى السمع والبصر ؟ وما معنى كونه سميعاً بصيراً ؟ صحيح ان العرف يفهم من كلمتي السمع والبصر الاستعانة بألة ولكن لا يجب ان يكون ذلك هو المعنى اللغوي ، فهل نستطيع ان نجد لهما معنى يمكن ان يتصف به الله تعالى على سبيل الحقيقة دون المجاز ؟ فان امتنع اتصافه بذلك بالمعنى الحقيقي لجأنا الى المعنى المجازي ، والاحملناها على المعنى الحقيقي .

الدرس السابع والعشرون

في. أنه سميعٌ بصيرٌ
الاثنين ٢٦/٣/١٩٦٢ م

قلنا سابقاً ان كل ما هو كمال للوجود يجب ان يتصف به تعالى ، وليس يكون ذلك صفة زائدة على الذات بل هو عين الذات .

والقاعدة العامة في كل صفات الله الثبوتية التي يجب ان يتصف بها أن تكون من كمال الوجود بما هو وجود ، ويستحيل عدم اتصافه بها لانه يلزم من ذلك نقصانه ، اذ لا يمكن فرض موجود كامل ليس بعالم أوحى ، فما فرضناه موجوداً ليس بموجود ، فنفس فرض انه واجب الوجود يلزم منه فرض انه قادر مختار حي سميع بصير .

فان كان السمع والبصر من صفات كمال واجب الوجود وجب ان يتصف بهما الله تعالى ، وليس هناك برهان عقلي آخر يمكن ان يثبت لنا هذه الصفات ، وانما هي براهين اقناعية مثل : فاقد الشيء لا يعطيه . أو مثل : اننا نجد موجودات منظمة فلا بد ان يكون خالقها عالماً قديراً . فاساس فكرتنا التي نؤكد عليها انه انما يصح وصفه تعالى بالصفة الثبوتية اذا كانت من كمال الوجود بما هو وجود ، والا فلا ضرورة

في أنه سمع بصيرٌ ١٣٧

للاتصاف ، ولا برهان على انه تعالى يجب ان يتصف بكل صفة تبدو في أعيننا كمالاً ، كما تقول الناعم افضل من الخشن ، والابيض افضل من الاسود ، لانها ليست من صفات كمال الوجود بما هو وجود . واطلاق الصفات الثبوتية على الله تعالى لا تتوقف على الفهم العرفي ، لان العرف قد يفهم شيئاً ، لانه لا يرى الا هذا الفرد مثلاً فيطبق اللفظ على هذا المعنى المأنوس لديه ، مع انه بحسب الحقيقة أوسع معنى مما يفهمه العرف ، فكثيراً ما يتخيل العرف بان الصفات لها حدود خاصة ، لانه لا يراها الا محدودة بتلك الحدود . وكثيراً ما يخطئ العرف في التطبيق ، ونحن يجب علينا ان نفهم المعنى من اللفظ من حيث هو هو ، لا باعتبار ما يفهمه العرف . فنحن نتساءل عن حقيقة السمع والبصر من الناحية الفلسفية ، وهل يتوقف السمع والبصر على الآلة ام لا ؟ قلنا فيما سبق ان الآلة ليست الاموضع الاحساس وهي في الحقيقة محسنة لالمحسنة ، فاحساس النفس او ادراكها الحسي بذلك الشيء ليس حتماً بمعنى وساطة الآلة الحاسة ، بمعنى أن الآلة تُحس أولاً وبواسطتها ثانياً وبالعرض تحس النفس ، وانما ثبت علمياً في القديم والحديث ان الآلات تكون موضع تاجر لاموضع حس ، فالاذن مثلاً ليست سامعة ، وانما هي موضع للاحساس ، والنفس تحس بهذه الذبذبة التي في الاذن ، فتحس بالصوت ، مثلاً هناك من يسمع من فمه ، يضع الساعة في فمه فيسمع فكيف يسمع ؟ تحدث ذبذبات تحس بها النفس ، فتبين ان السمع في الحقيقة ليس للاذن ، وانما الاذن ناقلة للتموجات تتأثر بالذبذبات ، لذا تختلف الاسماع ، فبعضنا يسمع الصوت الخفيف ، وبعضنا لا يسمع الا الصوت القوي ، لان طبلة اذنه لا يهزها الا الصوت القوي ، ولو لا النفس لما كانت لهذه الآلات أية قيمة فالنفس لا تحس باحساس الاذن ، ولا تبعاً لاحساس الاذن ، انما النفس تحس بالاذن ، فالاحساس ليس مشتقاً من الاذن بحيث اذا لم تكن فلا يكون حس ولا حاسة . نحن نريد أن نقول ان النفس بذاتها تحس ، والدليل على ذلك ما يراه النائم ، وما يسمع مع تعطل سمعه وبصره عن العمل ، ومن دون ان يكون حتى مسموع ومبصر ، ولما كان

من عادة الانسان في اليقظة الا يسمع ولا يبصر الا بألة ، فقد جرى العرف على ذلك ، ولكن قد يسمع ويرى بدون آلة ، وقد لا يسمع ولا يرى حتى مع الآلة ، كما اذا كانت النفس مشغولة بما هو أهم ، فالصور تنطبع على العين ولا رؤية ، والصوت يقرع طبلة الاذن ولا سمع ، لان النفس في شغل عن ذلك ، فالسمع هو الحس السمعي بالمسموع لا المسموع الخارجي ، وكذا البصر .

وعندنا المعلوم معلومان ، والمسموع مسموعان ، والمبصر مبصران ، معلوم بالذات ومعلوم بالعرض ، فالمعلوم بالذات هو الذي ينخلق في النفس وينكشف لها فتسمعه ، فالمسموع بالذات هو الموجود في النفس ، وهو جزء من النفس فتحس به ، وكيف تحس النفس بالاصوات الخارجية وهي امر خارجي لاصلة للنفس به ، والمحسوس في الواقع هو الحس الذي يتقوم بالنفس وهو عين النفس .

الدرس الثامن والعشرون

في كونه سَمِيعاً بَصِيراً
الثلاثاء ٢٧/٣/١٩٦٢ م

اذا جرّدنا مفهوم السمع والبصر عن الآلة فلا استحالة من هذه الناحية في أن يتصف الله سبحانه بالسمع والبصر - لان الآلة واسطة لمن لا يستطيع ان يسمع بنفسه ابتداءً اما من كان له سمع وبصر ذاتي ويستطيع ان يتصل بالمسموع وبالمبصر ابتداءً بدون آلات فليس ذلك مستحيلاً ان يسمع ويبصر بدون آلة ، فهذا التأويل الذي ذكره لتبيين السمع والبصر لا محل له ، ولا حاجة الى هذه التأويلات والتمحلات .

بقيت ناحية واحدة ، وهو أن السمع والبصر هو التأثير بمعنى الانفعال فتكون النفس موضعاً للحوادث ، فمن هذه الناحية يستحيل اتصافه تعالى بهذا لانه يستحيل أن يكون محلاً للحوادث .

نقول : ألا نستطيع ان نتصور حساً بدون ان يكون الحاس محلاً للحوادث ؟

قلنا في الوجود الذهني ان قيام المحسوسات بالذات قيام صدور لقيام حدوث وحلول أي انها تخلق العلم لان العلم من العوارض على النفس ، فتجلي هذه الاشياء للنفس هو تطور للنفس واشعاع لها ، فهو من افعال النفس ، فهو من قبيل الاشعاع كالنور عندما يعطي الخيوط الشعاعية ، وهي ليست عوارض على النور وانما هي اشعاعات وتجليات ، فالنفس خلاقة ، وليس قيام الحس والادراك في النفس كقيام العارض على معروضه ، وليس من قبيل الانفعالات ، بل النفس لها قدرة على ايجاد العلم والاعتقاد ، فلذلك يجحد ويستيقن ، ويظن ويتخيل ، وكل ذلك من فعل النفس ، واذا تهيأت اسباب العلم والاحساس وغيره ، فالنفس فياضة ، والنفس اذا تجلت لها هذه الاشياء تعلم بها ، ولا تستطيع ألا تعلم بها لأن اسبابها قد تهيأت ، وكذلك تحكم النفس بالبدهييات ، كما نقول في الله تعالى : ان الشيء اذا طلب بلسان استعداد الانخراط في سلك الوجود ، فالله تعالى فياض لا يخل في ساحته ، فيفيض الوجود عليه . وبالدليل اللمبي كما برهننا على انه حي قادر ، كذلك نبرهن على انه سميع بصير مادام ذلك من كمال الوجود بما هو وجود ، فيكون اطلاق السميع البصير عليه تعالى على سبيل الحقيقة ، بل هو أمر لا بد منه ولا نحتاج الى التأويل ، ولا بد من الاعتقاد به ، وتكون هذه الاسماء من الاسماء الحسنى التي يكون بها تمجيد الله تعالى ، فالمسموعات والمبصرات له لا لغيره ، وسمعه وبصره أعلى من جميع من سواه ولا يقاس به شيء أبداً .

وسئل الاستاذ : وهل يخلق الله علمه مع ان علمه عين ذاته ؟ فاجاب : النفس تتطور فتحس وحيث كان الله كمالاً محضاً فيكون علمه واحساسه بالمسموع والمبصر من ذاته في ذاته وعين ذاته .

تبقى شبهة ، وهي ان الحواس الخمس كلها احساسات بدنية ، واذا كان الاحساس كله على درجة واحدة ، ويكون بواسطة الآلات بالنسبة الى الموجودات المادية ، ويمكن ان تصوّر لها بدون آلات كما في الله تعالى ، فهل يصح ان نصفه تعالى بانه شام

ذائق لأمس؟ ولماذا خُصَّ السمع والبصر بالذكر في الآيات والروايات، فنقول: يجوز أن يكون السبب هو أن اللمس يشعر بحركة اللمس وكذلك الذوق يشعر بحركة اللسان والشم يشعر بحركة جهاز الشم، إذن فلا يجوز نسبتها إلى الله تعالى، ولأن أسماءه توقيفية، والمسألة فيها دقة وعمق لا يتسع لها صدر هذا الحديث، والأشكال بظاهره وارد على برهاننا.

ومن جملة صفاته أنه متكلم، ما معنى الكلام؟ هل معناه أنه يخلق الكلام فلا يخرج عن كونه خالقاً قادراً، أم المراد صفة أخرى غير الصفات الأخرى، وقد اكملوا بهذه الصفة الصفات الثمانية، فلا بد أن تكون صفة الكلام متميزة عن غيرها، ولا تكون بمعنى خلق الكلام. فمراد الأشاعرة من كونه تعالى متكلماً: أن الكلام صفة ذاتية لنفس وجوده، غير قدرته وإدراكه وحياته، وأما إن كانت هذه الصفة داخلية تحت عنوان صفة أخرى، لم تكمل الثمانية فلا يصدق قوله: ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية!!!

وهم لأجل أن يقولوا بالكلام النفسي قالوا: اننا نبحث في نفوسنا (والنفس مثال الله وإن لم تكن مثله)، فنجد فيها كلاماً نفسياً مقابل الحياة والقدرة والعلم، وليس المقصود هو اللفظ. فنحن يجب أن نبحث أولاً في أنفسنا ثم نتكلم عن الله تعالى وكيف يصدق عليه أنه متكلم، هل عندنا صفة تسمى كلاماً وهي موجودة في النفس ليس بالوجود العلمي فإن كان معنى الكلام النفسي أنه - أي الإنسان - يعلم الالفاظ والمعاني فلا تكون صفة زائدة على العلم، غاية الأمر أنه علم بمعاني الكلام، علم بالالفاظ. مرة تخلق النفس العلم بالكلام، ومرة تخلق الكلام في مقابل العلم، فإن كان الكلام موجوداً بوجود العلم، فليس هو صفة غير العلم، فإذا أردتم قياس الله تعالى على النفس، فإذا كانت النفس تخلق الكلام، فالله تعالى يخلق الكلام، وإذا كان الكلام من صفات الوجود فيجب أن يتصف بها، وأما إذا أريد منه العلم بالكلام وإرادته، فليس صفة أخرى غير العلم والإرادة، فليس ذلك من صفات الوجود ولا

يجب أن يتصف الله بها .

وان كان معناه ان النفس تخلقه فهذا معنى لانفهمه ، صحيح أنني اخلق معاني واحاديث في نفسي ولكن ما معنى هذا ؟ هل معناه انه يوجد الكلام في النفس ابتداء ، أو يوجد العلم بالكلام . هل هناك كلام نفسي له وجود غير الوجود العلمي الذهني ، غير وجود المعاني في الذهن ، هذا هو الذي لانتعقله ، فاذا أراد الاشاعرة هذا المعنى وهم يريدونه ويسمونهم الكلام النفسي ويعتبرونه صفة اخرى غير العلم والارادة بحيث تكون النفس ظرفاً لوجوده ، فنحن في هذا لانتعقل الكلام النفسي فينا فكيف نتدرج الى الله تعالى لنفهم صفة الكلام فيه على هذا المعنى المجهول ؟

الدرس التاسع والعشرون

الكلام

الاثنين ٢٠/٤/١٩٦٢ م

على أي اساس يقوم الاعتقاد بانه تعالى متكلم ؟ قلنا فيما سبق انه اذا كانت الصفة من صفات الموجود بما هو موجود ، فيجب اتصاف الله بها ، فهل الكلام من صفات كمال الموجودات المادية او من كمال اصل الوجود ؟ مهما فرضنا الكلام فهو من صفات الآلات أو الاشياء المادية ، فلا يعقل ان يكون قائماً في ذات واجب الوجود ، فقيامه به غير ممكن اذا كان الكلام بمعنى الصوت - فالاشاعرة لا يقصدون كونه متكلماً بمعنى الصوت المسموع وانما يقولون : إن الكلام لفي الفؤاد وانما جعل الكلام على الفؤاد دليلاً فليس الغرض قطعاً من كونه تعالى متكلماً أن اللسان يظهر الصوت فلذا يستدلون على كلامه بهذا البيت .

فنقول : ان الكلام الذي يكون بقرع الاصوات ليس هو ذلك الكلام الذي يجب ان يتصف به الله تعالى ، هذا قطعاً ليس مقصودهم ، لانه أمر لا يمكن ان يتفوه به موحد ، لان الصوت من صفات الممكنات ، ولا يعقل اتصاف واجب الوجود بها ، وانما

يتصف تعالى بصفات الوجود بما هو موجود ، وكل صفة للممكن بما هو ممكن يستحيل ان يتصف الله تعالى بها ، بل تسلب عنه كما نقول : انه ليس له جسم ، ولا زمان ، ولا مكان ، التي آخر هذه الصفات السلبية . فكل الصفات السلبية ترجع الى صفة واحدة هي وجوب الوجود ، ووجوب الوجود يرجع الى سلب صفات الامكان ، أي سلب الامكان والامكان يعني سلب ضرورة الطرفين الوجود والعدم . وسلب السلب للضرورة يرجع الى اثبات الضرورة وهو نفس وجوب الوجود ، فنفي الصفات السلبية يرجع الى وجوب الوجود ، فيستحيل ان يتصف الله تعالى بأية صفة سلبية ، لانه صرف الوجود ، ويستحيل ان يدخل في حقيقته العدم ، والالم يكن صرف الوجود . ولذا نقدنا من أرجع الصفات الثبوتية الى السلبية ، فقال : ان العلم معناه عدم الجهل والقدرة معناها عدم العجز ، وهكذا بقية الصفات ، وتصوّروا ان تعددها يمنع من كونها عين الذات ، أما اذا كانت سلبية فتنزع من نفس الذات ، ولكن ما كان محض الوجود يكون عين التحقق والصفات السلبية اذا كانت منتزعة من نفس الذات صارت الذات امراً عدمياً ، ولم يكن محض الوجود ، فهذا القول افطع ما يتصور في العقيدة وهو افطع من القول بان الصفات الثبوتية زائدة على الذات ، وقد ذهب الى هذا القول وابتدأ به الصدوق وعجيب من المتكلمين المتأخرين التزامهم بهذا .

وعلى كل حال ، ان صفة الكلام لا يمكن ان يراد منها الصفة الممكنة ، لأن كل صفات الممكن بما هو ممكن يجب ان يتنزه عنها واجب الوجود ، لانه محض الوجود ، والا لم يكن صرف الوجود . اذن هم متفقون معنا أن صفة الكلام الذي يكون بالآلات ليست من صفات الله تعالى ، بل من صفات الممكنات ، والله تعالى منزّه عن ذلك ، بل هم يقولون ان هذا الكلام الصوتي يدل على صفة نفسية كمالية ، وهي التي يتصف بها الله تعالى لانها من صفات الوجود ، وهي صفة مستقلة في مقابل العلم والقدرة ، ولما وجب ان يكون الله عالماً قادراً وجب ان يكون متكلماً ،

لان الكلام هو من كمال الوجود لامن صفات الممكنات بما هي ممكنات ، كالعلم والارادة ، فلا بد أن يكون الكلام من صفات الله تعالى . لاشك ان الانسان حينما يتكلم يهيبىء كلامه في نفسه ، فينطق به ليعبّر عنه . فالكلام موجود في النفس والقلب فهو موجود ، فالكلام اساسه في الحقيقة احضاره في النفس ثم ابرازه بالصوت ، فالصوت مبرز للكلام لاغير ، وليس معنى عدم اخراجه بالصوت انه غير موجود ، فهو من صفات النفس ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه . هكذا قالوا . بحثنا سابقا في ان الكلام الذي يريدونه هو الذي يحضره الانسان بالتخيّل والعلم والارادة ، فمعنى أنه يناجي نفسه أي انه يحضر الالفاظ ويحضر المعاني في ذهنه . هل الانسان خلق الكلام او خلق العلم بالكلام ؟ هذه الالفاظ الذهنية والمعاني هل هي بنفسها موجوده كالعلم موجودة في الذهن ؟ أم هي من الموجودات الذهنية اي انها توجد بالعلم والارادة ، فتكون متعلقاً للعلم والارادة ، فلا تكون صفة زائدة على نفس العلم والارادة ، فلا تتصف النفس بصفة اخرى غير العلم . المعلوم بالذات وجوداً نفس العلم لكن مع ذلك زائدة على الارادة والعلم ، أم هي في الحقيقة متعلقة للعلم والارادة ، واذا كانت متعلقة للعلم والارادة فتكون موجودة بوجود العلم ، فلا تكون صفة زائدة عليها . هم يتصورون ان هذه الصفة قائمة في النفس زائدة على النفس والعلم والارادة ، فاذا ثبت ذلك فيجوز اتصاف الله تعالى بها ، لانها من صفات الموجود بما هو موجود . نقول : لا بد ان يعنوا من صفة الكلام انها هي صفة للوجود في مقابل العلم ، اما اذا كان بمعنى عالم بالكلام فلا تزيد عن حقيقة العلم ، فلما ذا تعدونها من جملة الثمانية ؟ هم لا يريدون ذلك بل يريدون ان صفة الكلام النفسي هي صفة قائمة بالنفس ، فلذا يقولون بأن القرآن الكريم قديم ، ولكن اذا كان القرآن من مخلوقات الله تعالى فلما ذا يكون قديماً ، في حين انهم لا يقولون بقديم العالم ؟ بل يقولون بأنه - أي الكلام النفسي - من صفات الله ، ومادام الله تعالى قديماً فكلامه قديم ، والقرآن من كلام الله فهو اذن قديم ، فيجعلون الكلام صفة ثابتة في مقابل العلم والارادة ، فلذا يقولون

يقدم القرآن ، وكل من قال بحدوثه عوقب بالقتل في فتنة افتعلها بنو العباس .
هل الكلام النفسي قائم بالنفس بقيام علمي وارادي ؟ فيدخل تحت العلم فلا يكون صفة زائدة على العلم ، واما ان كان في مقابلها - أي صفة العلم - فهي من صفات الموجود بما هو موجود فيجب ان يتصف الله تعالى بها ، فتكون واجبة الوجود وقديمة .

الدرس الثلاثون

في إتحادِ الطلبِ والإرادة
السبت ١٩٦٢/٤/٧ م
هذه المسألة منبثقة من مسألة ان الله متكلم . الامامية يقولون باتحاد الطلب والارادة ، والاشاعرة يقولون بتعدد الطلب والارادة ، كيف ينبعث هذا من مسألة ان الله متكلم وكيف يترتب عليه ؟ نحن نقول : ان الله متكلم بمعنى انه موجد للكلام وخالق له ، ولكن ذلك لا يزيد على الخلق والارادة ، فليس هناك كلاماً نفسياً موجوداً في مقابل الصفات الموجودة بالنسبة الينا وبالنسبة الى الله تعالى . ولكن هم يستدلون على الكلام النفسي : بانه في موارد الامتحان اذا امتحن شخص احداً بامر لا يريد وقوعه في الخارج لتجربة العبد ومدى طاعته وانقياده ، والامر جدي وحقيقي ، واذا تخلف العبد عدّ عاصياً ، واستحق العقاب ، ومع ذلك فان الله لا يريد وقوع ذلك العمل خارجاً ، فليست هناك ارادة جدية من الأمر . فهنا طلب ولا ارادة فهي من افراد الكلام النفسي ، اذن فالطلب بزعمهم غير الارادة ، وهو موجود في النفس بشكل مستقل عن الارادة ، فهو صفة في النفس ليست ارادة ولا علماً ولا شيئاً آخر ، ويعتبرون هذا هو المصداق الواضح للكلام النفسي ، فيعتبرون الطلب والامر الامتحاني قائماً في النفس قياماً مستقلاً ، وليس بارادة ولا علم فيفككون بين الطلب والارادة . والامامية في مقابلهم يقولون : ان الطلب هو الارادة ، واذا لم يكن طلب فلا

تكون ارادة ، ولا ارادة بلا طلب ، فكيف نعرف وجود الارادة في الامر الامتحاني في قول الامامية ؟ شيخنا صاحب الكفاية تعرض الى هذه المسألة فقال قولاً عجيباً : انه لانزاع حقيقي بين القوم وانما هو نزاع لفظي - مع ان الواقع ان النزاع حقيقي - قال : عند ناشئان ارادة واقعية حقيقية أي ماهو ارادة بالحمل الشايع ، و ارادة انشائية وهي تسمى بالطلب ، فمن قال باتحداد الطلب والارادة قال : ان الارادة الحقيقية عين الطلب الحقيقي . فعندنا طلب انشائي وطلب حقيقي ، و ارادة انشائية و ارادة حقيقية ، فالطلب الانشائي عين الارادة الانشائية ، والارادة الحقيقية عين الطلب الحقيقي . ومن يقول (الاشاعرة) بعدم اتحداهما قصده ان الطلب الانشائي أي الارادة الانشائية مغايرة للارادة الحقيقية ، فافترق الطلب عن الارادة ، ونحن ايضاً نقول بافتراقهما بهذا المعنى لان الارادة الحقيقية بالنفس ، ولا علاقة لها باللفظ ، والارادة الانشائية تتعلق باللفظ ، هذا خلاصة ما افاده صاحب الكفاية في هذه المسألة . نحن نقول : ان هذا النزاع أصيل وليس لفظياً ، لانهم يقولون ان الطلب الحقيقي القائم بالنفس الذي تدل عليه الاوامر الامتحانية لا ارادة حقيقية وراءه ، والارادة هنا انشائية فقط ، لأن الأمر يريدان يظهر الأمر فقط ، فنحن نتساءل ما معنى وجود طلب بدون ارادة ؟ الالفاظ ليست موضوعة للمعاني الخارجية بماهي خارجية ولا للذهنية بما هي ذهنية ، أي ان ما في الخارج يستحيل نقله باللفظ ، وكذلك ما في الذهن كما قرر في علم الاصول ، انما الالفاظ موضوعة في قبال نفس المعاني بما هي هي لامن حيث هي موجودة في الخارج او في الذهن لان ما في ذهني لا يمكن ان ينقل الى ذهنك والالزم ان يكون للوجود وجود وهو تحصيل للحاصل ، وانما ينتقل المعنى لابماهو موجود ذهني ، فيوجد بوجود ذهني آخر في ذهنك ، فاللفظ دوره فقط انه يحضّر المعنى ، فالالفاظ تكون بديلاً لما في الخارج أو الذهن ، فليست الالفاظ تدل على المعاني بماهي موجودة في الخارج أو الذهن ، بل بماهي هي .

في مقام الانشاء يكون الفرض هو ايجاد ذلك المعنى بواسطة اللفظ ، وهو ايجاد

اعتباري لاحقيقي ، فكلمة (بُعْتُ) ايجاد لهذا المعنى الاعتباري ، اما البيع الخارجي فلا يوجد باللفظ ، بمعنى ان يكون اللفظ علة له ، بل يوجد باسبابه ، وهو اعتبار الله او اعتبار المعبر ، فالالفاظ حكمها إظهار المعاني واحضارها ، وليس معناها الطلب الحقيقي والارادة الحقيقية ، ولا يعني ان الطلب قائم بالنفس ، وانما انشأت الطلب ، وقد يكون هذا الطلب حقيقياً او امتحانياً او بداعي التعجيز أو سائر الدواعي الاخرى ، فهذه قصود تكون في النفس هي التي تدعو الى انشاء هذه الالفاظ ، فليس هناك صفة موجودة اخرى في النفس تسمى بالطلب الحقيقي في مقابل الارادة الحقيقية أو الانشائية وكل الصفات موجودة في النفس بوجود العلم والارادة .

الدرس الحادي والثلاثون

في اتّحادِ الطَّلَبِ وَالْأَرَادَةِ
 الاحد ٨/٤/١٩٦٢ م
 ذكر العلامة في مسألة الجبر والتفويض أن الاشاعرة الذين ينكرون الحسن والقبح العقليين ، لانه لايمكننا ان نتحكم في الله فنقول هذا حسن وهذا قبيح ، بل الله يفعل مايشاء حتى الظلم ، ولايسأل عما يفعل وهم يُسألون ، فهم ينكرون السببية الطبيعية ، ويقولون بانه سبب كل شيء ، ولا سببية طبيعية بين الاشياء ، وان الله فاعل مابه الوجود وفاعل ما منه الوجود ، فكل الاشياء تصدر عنه ، وان الفاعلين جميعا المختارين وغير المختارين ليسوا فاعلين حقيقة ، فكل الاشياء الواقعة انما تقع بفعله . هذا ما نسبة العلامة اليهم .

وقد جاء عن الاشاعرة : ان الله يريد ما لا يأمر به ويكره ما يأمر به ، ودليلهم على ذلك : ان الله فاعل كل شيء ، وهو يفعل بارادة ، فالله يريد لكل هذه الاشياء . فالمعاصي التي يرتكبها العصاة إنما فعلها الله تعالى ، لان كل ما في الكون مخلوقاته ، ففعل المعاصي مراد له تعالى . هو كامل القدرة والسلطة ولا يخرج عن سلطانه شيء

في الارض ولا في السماء ، ففعل الكافر مادام داخل الوجود فهو مراداً له ، اذن فقد نهاء عن الفعل وهو يريد ، ويأمره بالشيء وهو لا يريد ، فنقول لهم هذا قبيح عقلاً ، فيقولون لاقبح عقلي . فنقول : الارادة على قسمين : ارادة تكوينية و ارادة تشريعية ، وهذه لم تدخل في بحوث الاشاعرة ، والارادة التكوينية هي ان تتعلق الارادة بفعل الانسان . فمثلاً انا اريد ان اتكلم فهذه ارادة تكوينية ، واريدك ان تسمع كلامي فهذه ارادة تشريعية ، فسماعك لا يصدر عني بل يصدر عنك ، فأنا أحب ان يصدر الفعل من الغير فوجه الدعوة اليه ليفعل ، فاذا فعل فقد حصل مرادي التشريعي لامرادي التكويني فالذي عملته هو توجيه الدعوة فهو مرادي بالارادة التكوينية ، اما فعل الغير فهو ما اردته ارادة تشريعية أي اني أحدث في نفسه الشوق الى هذا الفعل ، فيقوى هذا الشوق حتى تكون ارادة تكوينية له فيفعل ، بتوضيح آخر: لما كنت راغباً في فعل شخص فابعثه على هذا الفعل بالطلب ، فانشاء الطلب فعل صدر مني بالارادة التكوينية ، فاذا سمع المخاطب طلبي ورغب بالفعل فيفعل بارادته التكوينية و ارادتي لفعله ارادة تشريعية ، و ارادته هو لفعله و ارادتي لفعلي وأمرى - أي صدور أمرى ارادة تكوينية . والارادة التشريعية غير الارادة التكوينية ، لان معنى الارادة التشريعية أنني اريد ان يصدر الفعل من غيري ، فاذا عصى فمعناه انه لم يحقق الارادة التشريعية ، فقوام الارادة التشريعية هو ارادة صدور الفعل من الغير بشرط صدوره من الغير ، والشوق مهما تأكد عند الأمر لا يكون ارادة لنفس الفعل . يعني ان الشوق التشريعي مهما تأكد فلن يكون تكوينياً ، أي لا يمكن ان أقوم انا بالفعل بنفس الشوق الذي أريد به ان يقوم غيري بالفعل ، فاذا اردت القيام بذلك الفعل فهي ارادة تكوينية فنقول : ان الله تعالى له ارادة تشريعية و ارادة تكوينية ، وكل الاشياء صادرة عنه بارادة تكوينية ، والاوامر والنواهي صادرة بارادة تشريعية ، فعند التعبير (أراد مانهى عنه) لامقابلة بينهما لانه اراده بالارادة التكوينية ، ونهى عنه بالارادة التشريعية ، وكذلك التعبير (كره ما اراده) أي كره تكويناً ما اراده تشريعاً ، فلا تناقض ولا محال ، فانا كرهت ان يصدر

مني ولكن اريد ان يصدر من الغير ولا يكون تناقض لان التناقض انما يقع اذا كانت الارادة في كلا الطرفين تكوينية .

كذلك حينما نقول : أمر بما يكره أي اراد ما يكره أي اراد بالارادة التشريعية ماكره ان يصدر عنه بالارادة التكوينية .

هم يقولون : ان فعلي هو فعل الله ، فهو يكره ان يصدر مني الفعل ، ولكنه يفعله ، فيكون تناقض في قولهم ، لأنه يريد ويكره بالارادة التكوينية ، فاذا كان فعلي هو فعل الله مباشرة ، وقد اراده ، وان كان يكره ان يصدر مني ، فليس هو كاره لنفس الفعل ، بل بما هو صادر مني مكروه لله ، وبما هو فعله محبوب له ، غاية الامر انه يلزم منه القبيح ، ولا نقول بالقبيح العقلي ، هذا ما نسب اليهم - أي الاشاعرة - .

بقي ان نبحث في مسألة كيفية دخول الشيء في القضاء الالهي ، اذا كان الله خالقا كل شئ . وهي مسألة مهمة ينبغي ان نتامل فيها .

الدرس الثاني والثلاثون

دُخُولُ الشَّيْءِ فِي الْقَضَاءِ أَوْ الْقَدْرِ
الاربعاء ١١/٤/١٩٦٢م

كان كلامنا فيما نسب الى الاشاعرة من ارادة ما يكره أو كراهة ما يأمر به ، وأن افعال البشر كلها مخلوقة الله ، فالمعاصي التي يفعلها البشر قد نهاهم عنها ، ولكنه خلقها ، وقلنا ان هذه تناقضات ، وقبيح نسبة القبيح الى الله تعالى . والاشاعرة يمكنهم أن يقولوا مثل هذا ولا اقول انهم قالوا نفس هذا الكلام لان الاشاعرة لم يذكروا الارادة التكوينية والتشريعية ، بل هم اعترفوا بالاشكال الذي وُجِّه اليهم ، ولكن قالوا ان الأمر لا يجب ان يصدر عن ارادة ولا يجب ان يصدر النهي عن كراهة .

ويمكن توجيه كلامهم من غير لزوم المحال وهو انه عند ما يأمر بشئ فهو يريد ارادة تشريعية ولكن قد لا تتعلق به الارادة التكوينية وان تعلقت به الارادة التشريعية

دُخولا الشيء في القضاء او القدر ١٤٩

فقط فيرتفع التناقض ، غير ان هذا قبيح .

فهذا التناقض الذي بيد ولاول وهلة يزول اذا قلنا ان هناك ارادة تشريعية وارادة تكوينية تتعلق احدهما بشيء وتعلق الاخرى بشيء آخر ، فيأمر بما لا يريد و ينهى عما يريد .

ولكن قبيح ان يكون الفعل فعل الله وان صدر في الظاهر من العبد ، فالعبد ليس مستقلاً الارادة في افعاله وانما هو موضع للفعل في مفروض الاشاعرة ، وكل الموجودات والافعال هي افعال الله تعالى ، فهل يفرضون ان الله نهى عن شرب الخمر وهو يفعل شرب الخمر ، يعني يريد بالارادة التكوينية ، نفس ما نهى عنه بالنهي التشريعي ، فهو يكره تشريعاً ما يريد تكويناً ، هذا قبيح لانه لايجوز عقلاً ان اكره شرب الخمر ثم ألجئه الى الشرب جبراً واعاقب عليه . وهذا يعني اني اكره تشريعاً ان يصدر هذا الفعل من زيد ولكن افعله تكويناً ، واکره ان اقوم به انا ولكن اريد ان تقوم به انت . حلّ الاشكال على الاشاعرة لا يكون كما فعله صاحب الكفاية باختلاف متعلق الارادة التشريعية والتكوينية ، لان هذا يمكن تصوره بالنسبة الى العبد ، ولكن لا ينسب هذا الى الله . ففي العبد ، الأمر والمأمور كل منهما مستقل عن الآخر ، ولكن هذا لا يصدق بالنسبة الى الله لان العبد ليس له استقلال في الاعمال فيتحد متعلق النهي التشريعي والارادة التكوينية ، فهو يأمرني ويجبرني على الترك ، وينهاني ويجبرني على الفعل فكيف يتعلونه ؟

فليس هذا - أي التفريق بين الارادتين - حلاً للموضوع المشكل ، وصاحب الكفاية حل هذا الاشكال على مذهب الامامية ، ولكن هذا لا يكون حلاً بالنسبة الى الاشاعرة لان الفاعل واحد على كل حال .

فاذن كيف نحلها على طريقة الامامية ؟ على طريقة الامر بين الامرين .

فهرست المحتويات

الصفحة

٨..... مقدمة الناشر

السنة الأولى مباحث الوجود

١١..... الدرس الأول

١٣..... الدرس الثاني تعريف الوجود

١٤..... الدرس الثالث اشتراك الوجود

١٤..... الدرس الرابع زيادة الوجود على الماهية

١٦..... الدرس الخامس أصالة الوجود

١٩..... الدرس السادس العدم مفهوم واحد والعدم ليس بشيء

٢٠..... الدرس السابع إعادة المعدوم

السنة الثانية مباحث الوجود الذهني

٢٥..... الدرس الثامن الوجود الذهني

٢٧..... الدرس التاسع الملجىء الى انكار الوجود الذهني

٣٠..... الدرس العاشر ردة لشبهتي منكري الوجود الذهني

٣١..... الدرس الحادي عشر أقسام الجعل

٣٣..... الدرس الثاني عشر ما هو المجعول لذاته ؟

٣٥..... الدرس الثالث عشر تقسيم الوجود الى المحمولي والرابط

٣٦..... الدرس الرابع عشر تحقيق في معنى الوجود الرابط

٣٨..... الدرس الخامس عشر مواد القضايا وجهاتها

٤٠..... الدرس السادس عشر الجهات اعتبارات ذهنية

٤٣..... النتيجة

مباحث العلة والمعلول

السنة الثالثة

٤٧.....	تمهيد
٤٨.....	١- القول بالصدفة
٥٨.....	٢- السببية الطبيعية
٦٥.....	٣- التسلسل في العلل
٦٧.....	برهان التطبيق
٦٩.....	الخلاصة
٧٠.....	البرهان على استحالة التسلسل

الفلسفة وعلم الكلام

السنة الرابعة

٧٥.....	الدرس الأول..... نشأة علم الكلام
٧٧.....	الدرس الثاني..... هدف الفلسفة وهدف علم الكلام
٧٩.....	الدرس الثالث..... أثر الآراء اليونانية على انكار المسلمين
٨٥.....	الدرس الرابع والخامس.....
٨٣.....	الدرس السادس..... الجبر والتفويض
٨٤.....	الدرس السابع..... الجبر والتفويض
٨٥.....	الدرس الثامن..... ماهية واجب الوجود اتيته
٨٩.....	الدرس التاسع..... البديهيات العقلية الأولى
٩١.....	الدرس العاشر..... خطواتنا في البحث الالهي
٩٣.....	الدرس الحادي عشر..... في مراحل البحث الالهي
٩٥.....	الدرس الثاني عشر..... خطوات البحث الالهي
٩٧.....	الصفات على قسمين
٩٨.....	ملاحظة

- الدرس الثالث عشر.....عينية الصفات للذات ١١٠.....
الأقوال في المسألة ١٠٠.....
الدرس الرابع عشر.....شرح كلمات أمير المؤمنين (ع) ١٠٣.....
الدرس الخامس عشر.....شرح كلمات أمير المؤمنين (ع) في التوحيد ١٠٦.....
الدرس السادس عشر.....الاثنينية توجب التجزئة ١٠٨.....
الدرس السابع عشر.....في علمه تعالى ١١١.....
الدرس الثامن عشر.....علم الله تعالى ١١٤.....
الدرس التاسع عشر.....علمه تعالى بالاشياء ١١٧.....
الدرس العشرون.....علمه تعالى ١٢٠.....
الدرس الحادي والعشرون.....علمه تعالى بالاشياء ١٢٢.....
الدرس الثاني والعشرون.....القدرة ١٢٤.....
الدرس الثالث والعشرون.....القدرة ١٢٦.....
الدرس الرابع والعشرون.....الحياة ١٢٨.....
الدرس الخامس والعشرون.....الحياة السمع والبصر ١٣٠.....
الدرس السادس والعشرون.....في السمع والبصر ١٣٤.....
الدرس السابع والعشرون.....في أنه سميع بصير ١٣٦.....
الدرس الثامن والعشرون.....في كونه سمياً بصيراً ١٣٨.....
الدرس التاسع والعشرون.....الكلام ١٤١.....
الدرس الثلاثون.....في اتحاد الطلب والارادة ١٤٤.....
الدرس الحادي والثلاثون.....في اتحاد الطلب والارادة ١٤٦.....
الدرس الثاني والثلاثون.....دخول الشئ في القضاء والقدر ١٤٨.....

Printed in Lebanon

العبيد - الصنوبرة - مقابل سنتر داغر - بناية دياب مهدي

٨٢٢١٠ - تلفون دولي: ٠٠٣٥٧٩٥١٤٣٦٤

٠٠٣٥٧٤٦ ص. ب ٢٤/٦٣

شارع الصنوبرة د.

To: www.al-mostafa.com